



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة عباس لغرور - خنشلة.



كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عالمي ومقارن

# أسئلة اللون والثقافة

## دراسة مقارنة في الأدب الزنجي

مذكرة مقدمة لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة الماستر

إشراف الدكتور:

- أدامي خميسي

إعداد الطالبة:

- حصاد عايدة

### أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
قروي سميرة	أستاذ محاضر -أ-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	رئيسا
أدامي خميسي	أستاذ محاضر -ب-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مشرفا
خذري عالمة	أستاذ محاضر -ب-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مناقشا

السنة الجامعية: 2017\*2018 م

# مقدمة

## مقدمة:

اتسمت القارة الافريقية بخصوصيتها وإرثها الحضاري المتفرد بعدد كبير من القيم والتقاليد والأنظمة الفكرية والثقافية، والتي تشكّلت عبر قرون طويلة من الزمن، حتى شكّلت إرثاً حضارياً وثقافياً فيه الغنى والخصوبة، وفيه التاريخ والأسطورة، وفيه السحر والعجائبية والبطولة، وربما لهذا السبب تعرضت افريقيا لعشرات الاستعمارات والتصفيات والإبادة الثقافية والعرقية، فحاولت طمس وتغيير مرتكزات الملامح الثقافية والفكرية لتلك الحضارة المتأصلة فكراً لدى الشعوب الافريقية، التي عاشت متمسكة بثقافتها وطابعها الحضاري مما جعل من تلك القارة محط أنظار للغزاة الأوروبية، القادمة من خلال نقل التطورات الحضارية من أوروبا بلد الحضارة الأم، إلى المجتمع الافريقي الخاضع للنظرة المتدنية ثقافياً من وجهة نظر الآخر (الأبيض الأوربي)، مما مهد ذلك إلى ظهور حركات فكرية ثقافية على يد عدد من المفكرين والأدباء والكتاب والمؤلفين الأفارقة، الذين تولوا مسؤولية المحافظة والتصدي لكل أشكال الغزو الحضاري الأوربي عبر كتاباتهم ومؤلفاتهم ونتائجهم الفنية، للمحافظة والتمسك بكل مقومات وأسس الحضارة الافريقية وتأكيد أصالتها وخصوصيتها، كونها وسائل للخطاب الفكري والجمالي الذي يسعى لإبراز الهوية الثقافية للمجتمع الافريقي.

خرج من البيئة الإفريقية ومن خارجها أدب يحمل كلّ ملامح بيئته، يعبر عن هموم هذا الإنسان، بلغات مختلفة، لكن بقي محافظاً على صبغته الإفريقية، المتمثلة في الموروث الشفوي، والفلكلور والإرث الحضاري الافريقي، والأمثال والحكم، والقصص والأساطير المرتبطة بالتاريخ.

ظهر الأدب الافريقي، الذي أصبح اليوم أدباً عالمياً متأخراً نوعاً ما، نتيجة لتلك الحقبة الاستعمارية التي وضعت الحدود وكسرت حلقات التواصل مع القارة السمراء، من خلال الآلات العسكرية والآلات الفكرية والتبشيرية التي اجتاحت القارة، فمارست عملية إقصاء شاملة، ما أدّى إلى بروز الكثير من الكتاب الذين اشتغلوا على تقوية ودعم الشخصية

الزنجية، ومجابهة الآخر المستعمر، بطرق عدّة، منها: الإجماع على مصطلح "الزنوجة"، التي جمعت مجموعة من المفكرين على رأسهم: "إيميه سيزار"، "ليوبولد سيدار سنغور" و"داماس".

كانت "الزنوجة" موجة احتجاج بوجه المستعمر، لتأكيد هوية السود الأفارقة في كل العالم وليس إفريقيا وحدها، لذلك كانت منطلقاتها غربية أوروبية.

وانطلاقاً من هذه النقاط، جاء اهتمامي بهذا الموضوع الموسوم ب: "أسئلة اللون والثقافية، دراسة مقارنة في الأدب الزنجي"، والذي سنحاول الاجابة فيه على أهم الاشكالات التي يطرحها الخطاب الزنجي.

تكمن أهمية البحث الحالي في أنه يُقدم على دراسة غير متداولة في الدراسات النقدية الأكاديمية، ومن ثم تسليط الضوء عليها والدراية بأهميتها ووظيفتها في الحياة النقدية الافريقية.

يعود سبب اختياري لهذا الموضوع، إلى أسباب ومسوغات ذاتية وأخرى موضوعية، فالذاتية تمثّلت في:

1. ميلي وتعاطفي الشديد مع الإنسان الإفريقي الذي لطالما ذاق ويلات الاستعمار والعبودية والذلّ.

2. انتمائي للقارة السمراء، واعتزازي وافتخاري بهذا الانتماء.

أما عن الأسباب والمسوغات الموضوعية فتمثّلت في:

1. جهلي أو قلّة المعرفة لديّ حول الأدب الإفريقي الزنجي، ومسيرته الحافلة بالجهود والثورات الفكرية والثقافية من أجل إعلاء صوت الزنجي المخنوق منذ قرون.

2. من خلال بحثي المتواضع، اتّضح لي بأنّ هذا الموضوع مغيبّ نوعاً ما على الساحة الأكاديمية، لافتقاره للمصادر والمراجع، فأردت الدُخول في مغامرة أجهل عواقبها، والخوض في غمارها، علّها تصبح مرجعاً متواضعاً لدراسات مستقبلية.

كانت "الزنوجة" تمثل فكرة صراع لوني وثقافي وعرقي، حيث تحوّلت معطيات اللّون والعرق والثقافة إلى محرّكات صراع بين القوى الكبرى في العالم، فكانت السلطة للمركز الذي تمثّله الآلة الغربية، والتي لا تسمح بهويات أخرى موازية لها، فحاولت محو ارتباط المجتمعات بشكل غياب الآخر وحضور الأنا المتضخّمة للإنسان الغربي، وهذا ما أدّى إلى طرح سؤال السلطة المضادة، محاولة لتأسيس خطاب جديد، فكانت "الزنوجة" هي الوجه الأمل من أجل تحقيق هذا الخطاب، على المستوى الفنّي والأدبي والجمالي، ومن هنا انطلقت التساؤلات: كيف تحوّلت معطيات اللون والثقافة والعرق إلى محرّكات للصراع؟ وكيف تظهر هذا الصراع أدبيا وشعريا؟ وماهي الصورة النمطية المتشكّلة عن الانسان الأسود؟ ولماذا؟ كيف استطاع الإنسان الإفريقي التخلّص من دائرة العبودية للآخر الأبيض؟ وهل نجح في ذلك؟ هل اللّون نعمة أم نقمة؟ إختيار أم حتمية؟ ماهي وسيلة الإنسان الزنجي في إثبات ذاته وهويته؟ هل استطاعت "الزنوجة" كحركة أدبية وثقافية أن تعلّي صوت الزنجي إلى العالمية؟ وهل تمكّن المبدعون السود من بناء إطار أدبي نظري خاص بإبداعهم وإنتاجهم؟ كلُّ هذا وأكثر سنحاول الإجابة عليه وفكّ الغموض والابهام حوله.

قادتني نظرتي إلى موضوع البحث وطبيعته إلى الاستعانة بجملة من المناهج النقّدية التي فرضها الموضوع، كونه يتّسع وينفتح على أكثر من منهج، فكان في مقدّمها المنهج التاريخي، الذي حاولت من خلاله تتبّع التسلسل الزمني للأدب الإفريقي، والمراحل التي مرّ بها منذ عهد الرق والعبيد إلى غاية تحقيق ما كان يهدف إليه، كما استعنت بالمنهج الاجتماعي، الذي قادني إلى التّعرف على الظروف الاجتماعية والبيئية للأدباء والشعراء، التي أدت بهم إلى إخراج أدب من بيئة متدنية حسب الاعتقاد الغربي إلى أدب عالمي معبر عن الحياة الزنجية، كما استعنت بمنهج الوصف أحيانا في وصف الظاهرة الزنجية كحركة أدبية وثقافية، وبإجراء التحليل الأسلوبي أحيانا أخرى، في شكل قراءة مقارنة للنصوص الشعرية قصد الوقوف على المبادئ الجمالية، أما المنهج الغالب على البحث هو المنهج المقارن، الذي تفرضه طبيعة التخصّص والموضوع.

يضع البحث الخطة الآتية للوصول إلى الإجابة على الاشكالية المطروحة من قبل، حيث توزّع البحث على مدخل، فصل نظري، فصل تطبيقي، وخاتمة، وتُضح لي أن الولوج إلى الأدب الزنجي لا يستقيم دون مدخل يبيّن لنا تاريخ الانسان الزنجي منذ العصور القديمة والوسطى، ف جاء المدخل موسوما بعنوان: "الزنوجة: تاريخ لون وإقصاء"، تطرقت فيه إلى الآراء الفلسفية حول تاريخ الزوج، وإلى الشرط الاجتماعي منذ بداية الرق، وإلى ثورة الزوج في العصر العباسي، والقمع الزنجي في الجاهلية، وصورة الزنجي في قصص ألف ليلة وليلة، وكتابات الجاحظ.

أما الفصل الأول، فهو الفصل النظري الذي جاء موسوما ب: "الزنوجة حركة ثقافية وأدبية"، حدّدت فيه مفهوم "الزنوجة"، وبيّنت ظهور حركة الزنوجة في أمريكا وفي باريس، وأهم أعلامها في الفن الشعري والروائي والمسرحي، وحتى السينمائي، وواقعتها ووسائل التعبير عنها، وصدائها وحدودها الجغرافية، وقضايا وأسئلة أدب الزنوجة.

أما الفصل الثاني، وهو الفصل التطبيقي، ف جاء موسوما ب: "الزنوجة: الثقافة- اللون- والخطاب الشعري"، وما يجب الانتباه إليه، أنّه لم يكن بوسعي وأنا أبحث في هذا الخضم الذي هو الأدب الزنجي، لم يكن بوسعي سوى الاكتفاء بنماذج، حيث أنه يستحيل دراسة الأدب الزنجي بأكمله في مذكرة واحدة، نظراً للحيز المحدود لهذا البحث الذي لا يسمح باستيعاب أكثر منها، فاكتفيت بدراسة النصوص الشعرية لثلاثة نماذج من ثقافات مختلفة، "محمد مفتاح الفيتوري" من السودان العربية، "ليوبولد سيدار سنغور" من السنغال في الثقافة الفرنسية، و"لانغستون هيوز" في الثقافة الأمريكية، فحاولت إبراز الخطاب الشعري والانتماء العرقي والإثني، والتعريف بـ"الزنوجة" عند "الفيتوري" بين التأسيس والقطيعة والتجاوز، وإثبات النص الزنجي العربي وامتداده العالمي، كما تطرقت إلى "الزنوجة" وفعل التأسيس للخطاب الزنجي عند "سنغور"، وتوسيع أفق الزنوجة عند "هيوز"، حاولت أيضا الإحاطة بالعناصر الموضوعية والعناصر الأسلوبية والخطابية للثالث الإفريقي وعقد مقارنة بينهم،

وذيلت بحثي بخاتمة ملمة بما اشتمل عليه البحث، من أجل عرض أهم النتائج المتوصل إليها، كما دعت بحثي بملحق ذكرت فيه سير الشعراء وجمعت فيه نصوص الدراسة.

ولقد استند البحث إلى جملة من الدواوين والمراجع والمجلات الورقية والالكترونية، التي كانت عوناً لهذا البحث، نذكر منها: "تادر كاظم: تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط"، "خميسي بوغرارة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي"، "بيتر هاي: موجز تاريخ الأدب الأمريكي"، "عبد الله ابراهيم: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزية"، "علي شلش: الأدب الافريقي"، "مجلة افريقيا قارتنا"، "مجلة الآداب الأجنبية"، "مجلة الأدب الافريقي".

والأكيد أنه لا يخلو أي بحث علمي من صعوبات، فلقد اعترضتني بعض الصعوبات لعل أهمها ما تعلق بجمع المادة العلمية، نظراً لقلّة المراجع والدراسات في الأدب الزنجي، خاصة فيما يتصل بالنصوص الشعرية، إذ لم يترجم أغلبها.

وختاماً، أتقدم بالشكر الكبير للأستاذ المشرف "خميسي آدامي"، الذي كان مصباحاً ينير دربي طيلة مشوار البحث، ولكلية الآداب واللغات بجامعة "عباس لغرور"، التي أتاحت لي فرصة الجلوس على مقاعدها والنهل من علم أساتذتها، وفرصة البحث في مجال تخصصي "الأدب العالمي والمقارن"، أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث، كما أرجو أن يكون هذا البحث خطوة في درب التحليل المقارني، والذي يضع النصوص في النّماسات الكبرى بين الآداب والثقافات والأعراق.

# مدخل:

## الزوجة: تاريخ لون وإقصاء

1. الآراء الفلسفية: "هيغل": الزوج عبود الطبيعة.
2. الزوج والشرط الاجتماعي.
3. ثورة الزوج في العصر العباسي.
4. صورة الزوجي في ألف ليلة وليلة.
5. صورة الزوجي في كتابات الجاحظ.
6. القمع العرقي في الجاهلية: عنتر بن شداد وستر السواد.

## الزنوجة تاريخ لون وإقصاء:

## تمهيد:

لاشك أن نسق التلوين الثقافي من الأمور الحساسة في كل ثقافة، فنسق التلوين هو نسق يدخل في كل مناحي الحياة، حيث تبدأ الثقافة في تلوين الصورة عن نفسها وعن العالم من حولها، لتأتي منحٌ ثقافية ذات طابع إجتماعي عام فتخص بعض الألوان بأسماء، والتي تقوم على نظام الطبقات، أي تميّز لون عن لون، فكان أصحاب اللون الأبيض هم الأرقى في حين كان أصحاب اللون الأسود هم الأدنى، وهذا بحسب الوهم الثقافي وحسب إيهاام الذات بذلك، فصار اللون نسقاً ثقافياً، وصار التلوين وسيلة لتحقيق تصور الذات عن ذاتيتها وعن الآخر.<sup>1</sup>

ولقد اتسمت مسألة الآخريّة وأسئلة الهوية والاختلاف بطابع التوتر الذي يتجلى أحياناً في التمزق بين ماضي الذات وحاضر الآخر، حيث أن الذات تشعر بتمزقها بين الحاضر الذي يبرز فيه الآخر الغربي بصورته المزدوجة كمتحضّر ومستعمر، وبين الماضي الذي يقبع هناك في زمن مضى وانقضى، وفي مجال "الآخريّة"، كان الأسود واحداً من أولئك "الآخرين" الكثر الذين عرفتهم الثقافة العربية والغربية، وسعت إلى تمثيلهم بطرائق متعددة، فكان يتسم بضخامة التمثيل وتكرار تلك الصورة النمطية عن شهوانيته وحيوانيته المفرطة،<sup>2</sup> وهذا ماجعل الأسود يثور من أجل تغيير هذه الصورة النمطية، فكانت الكتابة وسيلته في ذلك، وهذه الأخيرة كانت وسيلة من جملة وسائل سعى من خلالها الأسود تغيير صورته عند الآخرين.

ولا يمكننا الحديث عن صورة الأسود في الثقافة العربية والغربية دون أن نحدد مفهوم الأدب الإفريقي، الذي هو مصطلح حديث الظهور تزامناً مع الحركة التحررية الإفريقية،

<sup>1</sup> ينظر: نادر كاظم: تمثيلات الآخر - صورة السود في المتخيل العربي الوسيط -، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت،

2004، ط1، ص11-13

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص15

وحصول بعض الدول على استقلالها منذ ستينات القرن الماضي، وقد انبثق مصطلح الأدب الإفريقي منذ منتصف القرن العشرين، ليعبر عن آداب أقاليم جنوب الصحراء بصفة عامة والأدب الإفريقي الزنجي بصفة خاصة، وهذا التقسيم جغرافي مستمد من الثقافة العسكرية<sup>1</sup> بحكم أن إفريقيا كانت مستعمرة فقسمت إلى مناطق عسكرية.

تعدُّ قصة الأدب الزنجي، قصة إنجاز باهر عانى كل ويلات العبودية والحرمان والفقير، شعب اقتلع من جذوره وثقافته العريقة في إفريقيا، ورُحِّل في ظروف همجية إلى عالم جديد، ليجد نفسه فاقداً الإنسانية، مشنت الكيان والذات، زد على ذلك أنه حُرِم من تعلم لغة مستعبده، وكذلك من التواصل بلغاته أو ممارسة طقوسه الثقافية، أي حُرِم من ممارسة الحياة بكل بساطة. ولقد ظل هذا الشعب ردحاً من الزمن يكُدُّ ويعاني، لا يدري أي وجهة يأخذ، حتى برزت من ثقافته أمة شاعرة وناقدة لترفع رأسه من التراب، وتعيد إليه بريق الأمل وتضعه على سكة النضال من أجل استرجاع إنسانيته<sup>2</sup>. وكل هذا سيتجلى في الجانب النظري من البحث.

<sup>1</sup> ينظر: محمد سالم ولد الطلبة: الأدب الإفريقي... بوتقة الأدب العالمي، مجلة افريقيا قارتنا، ع8، نوفمبر 2013، ت ز: 2017/02/02

<sup>2</sup> ينظر: بوغرارة لخميسي: النقد الأدبي الأمريكي الإفريقي خصائصه وجمالياته، الأوعية للنشر والتوزيع، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، 2013، ط1، ص 1.

## 1. الآراء الفلسفية: "هيغل": "الزواج عبود الطبيعة"

جاء الأدب الزنجي في البداية واستمر لفترة معتبرة كرد فعل على مواقف فلاسفة ومنظري مشروعية العبودية القائلة بأن هذا العرق ومن يتكلم باسمه لا يملك أدباً ولا لغة مكتوبة، بل هو غير قادر فكرياً على إنتاج الأدب، فوجد الكاتب الزنجي نفسه منذ الوهلة الأولى حبيس فكرة الدفاع عن إنسانيته المسلوبية من طرف كل المؤسسات المتواطئة على نظام الرق والمستفدين منه، وتفنيد الإدعاءات المغرضة بشأن عدم امتلاكه للقدرات الفكرية التي تسمح بالإبداع، فنذر أدبه لهذا الهدف المزدوج الحيوي بلغة المستعبد التي تعلمها خفية عنه، وبمحض مجهوده الفردي أو بمساعدة بعض الضمائر الحية.<sup>1</sup>

ومن بين الفلاسفة الغربيين الذين ظلوا أوفياء ومخلصين للتّمرّكز حول الذات، في نزعة استعلائية واضحة، الفيلسوف الألماني "هيغل" "GEORG HIGEL" الذي أنكر على الزنجي إنسانيته وقدرته على الإبداع، حيث اختزل صورة الإفريقي في خطاب الثقافة الغربية المتمركزة على ذاتها بدرجة أكثر بضاعة من تصوير أي جنس آخر، حيث يقول: "إن إفريقيا ترقد فيما وراء التاريخ الواعي لذاته، يلفّها حجاب الليل الأسود"<sup>2</sup>، ف"هيغل" هنا يرى صعوبة في فهم الطابع الإفريقي الخاص، لأنه حسب -هيغل- ينبغي علينا حين نشير إلى هذا الطابع أن نتخلى عن المبدأ الذي يصاحب على نحو طبيعي جميع أفكارنا، فالسمة البارزة في الحياة الزنجية هي أن الوعي لم يبلغ بعد مرحلة الحقيق الفعلي لأي وجود موضوعي.

ويقول أيضاً: "والإفريقي في وجوده العينيّ الموحد، الذي يتّسم بالتجانس والتخلف، لم يبلغ بعد تلك المرحلة التي يميّز فيها بين ذاته بوصفه فرداً وبين كلية وجوده الجوهري، بحيث أنه يفتقر تماماً إلى معرفة أن هناك وجوداً مطلقاً آخر أعلى من ذاته الفردية، فالرجل الزنجي... يمثل الإنسان الطبيعي في حالته الهمجية غير المروضة تماماً، ولا بد لنا إن أردنا

<sup>1</sup> ينظر: خميسي بوغرة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص2

<sup>2</sup> هيغل: محاضرات في فلسفة التاريخ، العقل في التاريخ، تر: إمام عد الفتاح إمام، دار الثقافة، القاهرة، 1986، ص172

أن نفهمه فهما حقيقيا سليما أن نضع جانبا كل فكرة عن التبجيل والأخلاق، وكل ما نسميه شعوراً أو وجداناً، فلا شيء مما يتفق مع الإنسانية يمكن أن نجده في هذا النمط من الشخصية والروايات الغزيرة والمفصلة التي يروونها المبشرون تؤكد ذلك تماماً.<sup>1</sup> ف"هيغل" هنا يصور الزنجي على أنه حيوان همجي غير مروّض، والصورة التي يريد أن يركبها عن إفريقيا تستعير كل عناصرها من حكايات المبشرين.

يتعرّض "هيغل" أيضاً إلى الديانات الإفريقية باعتبارها ديانات سحرية تشكّل أولى مراحل الوعي الديني كما عرفته الديانة الطبيعية، حيث يصل " انحطاط قيمة الإنسان عندهم إلى درجة لا تكاد تصدّق، ويُنظر إلى أكل لحوم البشر على أنها مسألة عادية مسموح بها"<sup>2</sup>، ذلك أن إلتهام اللحم البشري يتفق تماماً مع المبادئ العامة للجنس الإفريقي، فاللحم البشري عند الزنجي الشهواني ليس إلاّ موضوعاً حسيّاً، إنه مجرد لحم فحسب.

نجد "هيغل" هنا قد صوّر الزنجي في أبشع صورة، حيث نجد أنه جعل منه حيواناً مفترساً، ليست لديه مشاعر ولا أحاسيس، شهواني لا يأبه لشيء.

يقول أيضاً في سياق تأنيث صورة الإفريقي التي جهّزه بها المبشرون والتي توافق تصوّره، في تسويغ الكثير من مظاهر الاستعباد: " استعبد الأروبيون الزنوج وباعوهم إلى أمريكا، وإذا كان ذلك أمراً سيئاً، فإن مصيرهم في بلادهم ذاتها أشدّ سوءاً حيث توجد عبودية مطلقة، ذلك لأن المبدأ الجوهرى للرقّ أو العبودية هو أن يكون الإنسان قد وصل إلى مرحلة الوعي بحريته وينحدر بالتالي إلى مرتبة الشيء المحض، أعني أن يصبح موضوعاً بلا قيمة وكل هذا يحصل لأن المشاعر الأخلاقية عند الزنوج ضعيفة للغاية، أو هي معدومة إن شئنا الدقة، فالآباء يبيعون أبناءهم والعكس صحيح أيضاً".<sup>3</sup> ومن هذا القول يعزو "هيغل" دونية

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 174

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 174

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 178

الإفريقي إلى سبب ديني، فالإنسان مازال أسيراً للطبيعة، ولم ينفصل وعيه عنها رمزياً، ليتمكّن من تشكيل بعده الإنساني الواعي<sup>1</sup>.

وبسبب قصور الوعي الديني كما يفترض "هيغل"، فإن الإفريقي عاجز عن إيجاد كيان سياسي ينظم شؤون حياته، بل إنّ طبيعة الجنس الإفريقي " هي من ذلك النوع الذي يحول دون وجود مثل هذا التنظيم"<sup>2</sup> ولهذا فإن حياتهم العملية تقوم على العنف المتبادل والأقوى هو الذي يستبد بالأضعف ويوقعه تحت سيطرته.

إن إسقاط منظور مستدرج من نسق الثقافة الغربية الحديثة وإشكالية الدينية والثقافية والاجتماعية على نسق له خصوصيته في كل تلك العناصر، سيؤدي كما رأينا مع "هيغل" إلى تمزيق ذلك النسق واستخراج صورة مشوّهة للآخر من خلاله.<sup>3</sup> وكان "هيغل" كمثال على الفلاسفة والمنظرين الذين عارضوا الإنتاج الأدبي الزنجي، وكعيّنة من مجموع الدارسين الذين رفضوا الأدب المعبر عن الإنسان الأسود.

### 1. الزنوج والشرط الاجتماعي:

لو عدنا بالتاريخ والزمن إلى العصور القديمة، لوجدنا أن من بين الأسباب التي أدت إلى ظهور حركة الزنوج كحركة أدبية هي الظروف والأحوال الاجتماعية التي كان الإنسان الزنجي يعيشها ويعاني مرارة التعايش والتأقلم معها، من استعباد واسترقاق وتهميش، ولهذا حاولنا أولاً التعرّيج على البدايات الأولى لنشأة الرق وتطوره التي أدت إلى استيقاظ الفكر الزنجي.

<sup>1</sup> ينظر: عبد الله إبراهيم: المطابقة والإختلاف، بحث في نقد المركزية الثقافية، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن،

2004، ط1، ص271

<sup>2</sup> هيغل: محاضرات في فلسفة التاريخ، ص180

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص272

## 2.1 الرق نشأته وتطوره:

عُرف الرق كمظهر من مظاهر الحياة البشرية منذ أقدم العصور، وظلّ قائماً معترفاً به اجتماعياً وقانونياً في كافة المجتمعات الإنسانية القديمة والوسيطه بل والحديثة أيضاً، ولاشك أن الحروب كانت السبب الرئيسي في قيام الرق في العصور القديمة، فقد كان القوي يلزم الضعيف بالعمل لمصلحته وحسابه، وأخذ الرق يكتسب طابعه الاجتماعي المعروف كلاً ما اشتدّت الحروب واتّسع نطاقها، وكثر نتيجة لذلك عدد الأسرى، وهكذا نجد الاسترقاق في مصر القديمة ووادي الرافدين، وفي الهند حيث اعترفت به شريعة "المانو"، وكذلك الصين وفارس وبلاد العبرانيين.<sup>1</sup>

أدّى تقدم الصناعة والعمل في بلاد الإغريق إلى تطلب اليد العاملة، فاستورد الرقيق بأعداد ضخمة من آسيا الصغرى وتراقيا،\* وأصبحت تجارة النخاسة مصدراً للربح الوفير، غير أن شراء الرقيق وتسخيرهم في العمل منذ القرن السابع قبل الميلاد، برهن على أنه من العوامل الأساسية التي هدمت كيان المدن اليونانية، لذلك تميّز النصف الثاني من القرن السابع عشر بصراع عنيف بين السادة والعبيد.<sup>2</sup>

إن توسع "روما" وقيامها بالفتوحات شرقاً وغرباً، ملأ إيطاليا بأفواج هائلة من العبيد والأسرى الذين استخدموا في الزراعة تحت ظروف سيئة إلى أقصى الحدود، وكان الرومان يديرون العبيد ويستخدمونهم في مصارعة الحيوانات الضارية، ليتسلّوا بمنظر الدماء التي تُراق في ملاعب روما، فشهد المجتمع الروماني أخطر ثورة قام بها العبيد عام 73 ق.م، وقد فشلت جميع محاولات الحكومة الرومانية في هزيمة العبيد حتى أصبح هؤلاء سادة القسم

<sup>1</sup> ينظر: فيصل السامر: ثورة الزنج، دار المدى للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2000، ط2، ص 15

\* تراقيا: هي منطقة تاريخية وجغرافية في جنوب شرق البلقان، تضم شمال اليونان وجنوب بلغاريا وتركيا الأوروبية، تطل على ثلاث بحار: البحر الأسود، بحر إيجه، بحر مرمرة.

<sup>2</sup> ينظر: نبدلي جوزي: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، منشورات دار القلم، 2006، (د.ط)، ص 55

الجنوبي في إيطاليا بأجمعه.<sup>1</sup> فما نلحظه هنا أن طبقة العبيد كانت تعاني منذ الأزل حالة من التهميش والإقصاء، فكانوا في نظر السادة عبارة عن حيوانات مفترسة.

كَوْنُ الرِّقِّ في العصور الوسطى مظهرًا اجتماعيًا بارزًا في مدينة أوروبا الوسطى، حيث كان المورد الأساسي للرقيق هو أسرى الحروب، وفتحوا بابا جديدا للرق، حيث أخذ الأوروبيون يجلبون الزنوج الإفريقيين لتشغيلهم في المستعمرات،<sup>2</sup> ولقد عومل الزنوج في مزارع قصب السكر والقطن والتبغ كما لو كانوا مجردين من الروح الشعور، وما زال التمييز اللوني قائما في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة في الجنوب، فكان للسيد الحق المطلق في بيع عبده وإجارته ورهنه وخزنه والمقاومة عليه<sup>3</sup>، وهذا ما سنفصل فيه أكثر لاحقا.

## 1.2 الرِّقِّ في الإسلام:

كانت طبقة العبيد منذ ظهور الإسلام من الطبقات النشيطة الفعالة في جميع المجالات، فظهر بين أفرادها قواد عظام وأمراء كبار ومفكرون وفنانون نابغون، وكان المصدر الرئيسي للرق في الإسلام الحروب التي خاضها المسلمون ضد الدولتين الفارسية والبيزنطية<sup>4</sup>.

إن الإسلام لم يضع حدا للرق، لكن القرآن نصح بحسن معاملتهم، ودعا المسلمين الأتقياء إلى تحريرهم، فهناك بعض الآيات أوصت بتخفيف الحد على الرقيق وحضت على الرفق بهم، وقد أثر عن الرسول مجموعة من الأحاديث تدل على محاولته تحسين حال هذه الطبقة منها قوله: « واتَّقُوا اللَّهَ فيما ملَّكْت أيمانكم »<sup>5</sup> وقوله: « لقد أوصاني حبيبي جبرائيل بالرفق بالرقيق حتى طننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم »<sup>6</sup> وقوله: « وإخوانكم خولكم -أي

<sup>1</sup> ينظر: فيصل السامر: ثورة الزنج، ص 17

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 17

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 18

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 19

<sup>5</sup> سلطان الجهي: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المجلد 2، رقم الحديث: 868، أكتوبر 2014

<sup>6</sup> المرجع السابق

ؤءمؤم - ءعلم الله ءء أءءكم فمن كان أخوه ءء إءه فءطعمه مما يأكل ولءلبسه مما ءلبس»<sup>1</sup>.

إءا أءءنا أن نءءء عن مكانة العءء في المءءمع الإسلامء، ءءب أن نأءء بعءن الإءءبار ملاحظء هامة، هء ضرورة التفءق بءن الأحكام الفقهءة النظرءة الءة نؤمء أءوال الرءقء وبءن ءالءهم الواقءة وأوضاعهم الاءءماعءة الفءلءة، ذلك أن الساءة لم ءكونوا مءالءءن ءائما، ولم ءكن آءاء القرآن وأءاءءء الرسول وأحكام الفقهاء لءسءطء ءملهم على معاملة عءءهم بما هو واجب ءءنءا من الرفق والءسامء<sup>2</sup>، ءءء لم ءكن للءءء كءان اءءماعء مءسءقل أو شءصءة مءكاملة، بل كان ءءءبر ءءء من مءاع سءءه وءروءه واكءسبه بالشرءاء.

إن الءءور الاءءصاءء الءء شهءه العالم الإسلامء من ناءءة، وءغلب المصالح الماءءة على الشعور ءءنء من ناءءه ءائءة، أءءا إلى قءام نوع ءءء من الرق لم ءكن مشروعا ولا مقبولا، هو "النءاسة"، أو ءءارة الرءقء الءة انءشء في أسواق الشرق وبءاصة في بءءاء وماصاءبها من ءءارة الءصءان من الإفرءقءءن في العصر العباسء، مما كان ءنافء ءمءع المعاءبر الءضارءة والإنسانءة<sup>3</sup>، فكانء إفرءقءا الشرقءة ءءر مورد للنءاسءن المسلمءن ءءصلون منه على العبءء السوءء، كما ظلء قبلء ءءار الرءقء الأروءبءن ءءء وقت قءرب.

## 2. ءورة الزئء في العصر العباسء:

نءءءة لءلك العلاءاء ءءارءة والاءءصاءءة الءة كانت ءءكم العرب في العصر العباسء، والمناطق الشرقءة لإفرءقءا وءلب العبءء منها، قامء "ءورة الزئء" المعروفة، الءة برءء في الءءافة العباسءة في مءءصف القرن الءالء هءرء آء الءاسع مءلاءء، من (255-270هـ/869-883م)، والءة مءركزء ءول مءءنة البصرة "ءنوب العراق الءوم"، واءءء لأءءر من 14عاما، قبل أن ءءءء ءولة العباسءة في هءمءءها، ءءء بءاء بزئوء منطقة

<sup>1</sup> القسءلانى: ارشءاء السارء لشرء صءءء البخارء، المءبءة الكبرى الأمءرءة، بولاق، مصر، مء4، ص32

<sup>2</sup> ءنظر: فءصل السامر: ءورة الزئء، ص20

<sup>3</sup> ءنظر: المءءسء: أءسن الءقاسءم فء معرفة الأقالءم، ءار صاءر، القاهرة، 1991، ط3، ص133

شرق إفريقيا وجيء بهم إلى تلك المنطقة، وامتدت لتضم العديد من المستعبدين والأحرار من مناطق عدّة من الإمبراطورية الإسلامية، فكان الزنج قد ثاروا على المالكين وأسسوا حكومة لهم كان مقرها مدينة "المختارة" (جنوب البصرة)، وهددت الدولة العباسية حتى جندت كل إمكانياتها لتسحقها، فكانت أطول ثورات العصر العباسي وأخطرها،<sup>1</sup> فقد انطلقت هذه الحركة من واقع الألم والاضطهاد الاجتماعي والاقتصادي والظروف القاسية والسيئة التي كان يعيشها العبيد السود.

### 3. صورة الزنجي في ألف ليلة وليلة:

وفي إطار الحديث عن الساحة العربية، التي عبّرت على دونية العبد الزنجي ذهنياً وعرقياً، وعلى نبذ هذه الفئة من الدولة والمجتمع، فكانت السيرة التاريخية للمكان والمناخ سبباً مقنعاً في جعل الأفارقة والزنج النمذج الصارخ المعبر عن الدونية، فألبسته حكايات "ألف ليلة وليلة" صفات الرذيلة<sup>2</sup>، حيث نلمس في هذه الليالي الصورة النمطية للزنجي التي مازالت تلاحقه إلى اليوم لدى معظم المجتمعات والأمم، وهي كما ذكرنا سابقاً -صورة العبد-، وأن التخصيص في هذه الصورة أسهم في زيادة تشوُّهها، إذ لازمت الخيانة صورة العبد منذ افتتاحية القصة الأساسية، فقد فاجأ "شهريار" زوجته تخونه مع عبد أسود، وقد تكررت هذه الصورة السلبية في القصص الفرعية التي تحدّثت فيها "شهرزاد"، وكأن الليالي تريد أن توحى لنا اختلال القيم الأخلاقية يؤدي إلى خلل في التراتبية الطبقية، مما يدفع المتلقي من التعاطف مع الزوج الأبيض.

ولكن أقسى تشويه لصورة الآخر الزنجي في الليالي، هي جعله من أكلة لحوم البشر - كما لوحظت عند -هيغل-، فأخرج الإنسان بسبب لونه من الطبيعة الإنسانية، ليوضع في مرتبة الحيوانات المتوحّشة، وقد تكررت هذه التهمة في عدّة ليالي، ففي الليلة 551 نسمع

<sup>1</sup> ينظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)، المكتب الإسلامي، 1421-2000، ج2، (د.ط)، ص57

<sup>2</sup> ينظر: رحمان شريف: العنصرية ضد السود، العنصرية أصل والتسامح فرع، سلسلة الجدران اللامرئية، مجلة الأوان،

أحد التجار يقول للسندباد: "كيف خلاصك من السودان وهم يأكلون البشر"،<sup>1</sup> وما يؤلم في الليالي أن يتحوّل أسود اللّون إلى أسود الفعال، لهذا اختار الراوي صفات جسدية تنسجم مع هذه الأفعال، وعمد إلى الخيال الذي يشوّه ملامح وجهه، فيجتمع سواد البشرة مع البشاعة الشكلية والخلقية، "فالعبد الذي يسرق حصاني (علي نور الدين)، له مناخير كالإبريق، فأجدي شفثيه غطاء، وشفثه الثانية وطاء، وشفاهة تلتقط الرمل من الحصى، وهو مبتلّ وراق، على قليل من قش القصب"<sup>2</sup>، فنجد الخيال الشعبي يمعن في رسم ملامح الزنجي القبيحة، فنجد مبالغة في تصويره، وقد استمدّ أدوات التشبيه من أدوات المطبخ (إبريق، طنجرة، ملقط).

إذا لن تكتل صورة الرعب التي رسمتها المخيّلة الشعبية إلّا باللّون الأسود، لهذا وجدنا الراوي يضيف إليه مظاهر الرعب الأخرى، فيجعل النار تنبثق شرارا من العينين، ولا يكفي بجعله أسود الفعال والأخلاق، بل أسود اللغة إن جاز التعبير لاينطق إلّا بالسوء، ولا يحمل إلّا الأخبار السيئة<sup>3</sup>.

#### 4. صورة الزنجي في كتابات الجاحظ:

عرفت المجتمعات العربية تهميش الإنسان الزنجي، وعرضت لمختلف الصُّور النمطية والمخيّلة عن بشاعة الأسود ووحشيته، ودونيته، وعن تشويه حتميته البيولوجية وعن سواد جسده. ولنا أن نستدلّ بتحليل "صورة السودان" واستكشاف دلالاتها في نصوص واحد من أكبر المؤلفين في الثقافة العربية الإسلامية، وأكثرهم إنتاجا في حقول الأدب وعلم الكلام والحيوان والسياسة والاجتماع، ومن أكثر الكتاب استعانة بالوجوه البلاغية كالتشبيه والاستعارة

<sup>1</sup> ألف ليلة وليلة، دار صادر، بيروت، دت، ج2، (د.ط.)، ص60، نقلا عن: ماجدة حمود: صورة الآخر في ألف ليلة وليلة، مجلة جامعة دمشق، م27، ع1+2، 2011، ص130

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج1، الليلة7، ص31

<sup>3</sup> ينظر: ماجدة حمود: صورة الآخر في ألف ليلة وليلة، مجلة جامعة دمشق، م27، ع1+2، 2011، ص131

والتمثيل والسخرية والالتباس والمفارقة والمبالغة، كل ذلك من أجل اقناع الآخرين بدونيتهم وانحطاطهم وحيوانيتهم، ذلك هو "أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ" (160-255هـ).<sup>1</sup>

يُعدُّ "الجاحظ" من الكتاب الأكثر إتصاقاً بقضايا المجتمع وما يجري لمختلف طبقاته ومراتبه، لذا فإنه أوضح من يمثّل طبيعة الكتابة عن الآخرين، وطريقة النظر إليهم في تلك الفترة التاريخية التي تفجّرت فيها العصبية الثقافية والمفاخرات بين ثقافات مختلفة، بل إن "الجاحظ" نفسه يعدُّ مثالا بارزا على امتزاج الثقافات في الحضرة العربية، حيث يقول قريبه "يموت بن الموزع": "كان جدُّ الجاحظ أسود وكان جمّالاً لعمر بن قلع الكناني"<sup>2</sup>

ويقترّب قريبه أكثر في تحديد أصله، فجده كان جمّالاً أسود، وهو ما يعني أن للجاحظ ذاكرة فردية قرينة بأصله من حيث أنه حفيد أحد السودان الجمّالين في البصرة، ولا يبدو "الجاحظ" فخوراً بانتمائه إلى السودان الذين هجّاهم هجاءً مودعاً في أغلب كتبه ورسائله، وهذا الحقيقة كانت تجلب له الخجل أو التصاغر، وهو ما يقوده إلى رغبة في التّجاهل أو النسيان أو الانكار لهذه الذاكرة وهذا الأصل.<sup>3</sup>

كان الزوج مادة طيّعة في يد "الجاحظ"، يقابها كيف يشاء، ويرقّعها ويركّبها كيف يشاء، وشبّهها وبشبهه بها. لقد كان الزنج والسودان فطيراً على نار الجاحظ أن تتضجّه أو تحرقه أو تتركه كما هو، وما كان من الجاحظ إلا أن أحرق هذا الفطير حين أدناه من ناره التي لم تتضج غير أهل بابل من العرب والفرس<sup>4</sup>، بكل بساطة، كان "الجاحظ" يحقد وينقم على السود الأمر الذي جعله ينقدهم بل ويتبرأ من أصله الأسود.

وكان "الجاحظ" يتحدّث عن ألوان الكلب وحين تعرّض للكلب الأسود قال: "كل شيء من الحيوان إذا اسودّ شعره أو جلده كان أقوى لبدنه، ولا تكون معرفته بالمحمودة، ... وإذا اسودّ

<sup>1</sup> ينظر: نادر كاظم: تمثيلات الآخر، ص 259

<sup>2</sup> أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت)، ج 4، ط 1، ص 386

<sup>3</sup> ينظر: نادر كاظم: تمثيلات الآخر، ص 260

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 260

الحمّام حتى يدخل في الاحتراق صار مثل الزنجي الشديد البطش، القليل المعرفة".<sup>1</sup> فمن خلال هذا القول يُلاحظ بأن "الجاحظ" قد أسند كل الصفات الدنيئة والوحشية بالإنسان الزنجي، ليس هذا فحسب، بل جرّده حتى من علاقته بعالم المعرفة.

لا يزعم "الجاحظ" في قوله السابق أن الزنج والسود حيوانات أو بشر في عداد الوحوش والبهائم فحسب، بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى درجة اعتبارهم بمثابة المرجعية التي تكتسب هذه الوحوش والبهائم حيوانيتها منها، فهم الأصل في الحيوانية، والوحوش والبهائم فروع وتبع لها، فالزنجي هو المرجعية والأمل في السواد وشدة البطش وقلة المعرفة.<sup>2</sup> وهكذا توالت تشابيه الجاحظ للزنجي بالحيوان، فنجد تارة يشبّهه بالغراب، وتارة أخرى بالحمير والكلاب لاشتراكهم في إفراط الشهوة.

##### 5. القمع العرقي في الجاهلية: عنتر بن شدّاد وسِتر السواد:

لم يكن أحد من السودان راضياً عن التمثيل الذي شكّته الثقافة العربية الإسلامية عن الأسود وثقافته، فإذا كان من مسلمات هذا التمثيل أن يكون سواد البدن مؤشراً على النقص والقبح والمرض والتشوّه، فليس أمام هذا الأسود الخاضع إلاّ التسليم بصدق ذلك، وهو ما يظهر في ستر سواده بكل الوسائل، فإذا ركّزنا على الشعراء السودان المستوعبون مثل "عنتر"، و"أبي دلامة"، و"تصيب"، فإن المرء يكتشف أن لكل واحد من هؤلاء وسيلته الخاصة في ستر سواده، فإذا كانت الفروسية هي وسيلة "عنتر بن شدّاد"، فإن التقرب من الخلفاء والإفراط في مدحهم هما وسيلتا "تصيب"، وما رغبة هؤلاء في التبرؤ من سوادهم والمفاخرة ببياض أخلاقهم إلاّ دليل على تحرّجهم من ألوانهم.<sup>3</sup>

كان هؤلاء الشعراء يعيشون حالة من التمزّق والنزاع بين ذاتيتين أو هويتين: هوية الأسود، وهوية العربي، فالواحد منهم يعي أنه أسود، وهو في الوقت ذاته يسعى لأن يكون

<sup>1</sup> الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الحلبي، (د ت)، ج7، (د.ط)، ص206

<sup>2</sup> ينظر: نادر كاظم: تمثيلاً الآخر، ص266

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص503

عربياً، وهو إن رغب في التَّجُرُّد من هويته السوداء، إلا أن ذلك مطلب بعيد المنال فسواده علامة محفورة في بدنه تشير إلى أنه أسود، وهو كذلك لا يرغب في التَّجُرُّد من عربيته.<sup>1</sup>

وبالرغم من انجذاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى "عنتره" كان نابعا من حميد خصاله التي تظهر في شعره، إلا أنه لم يسلم من الاستعباد والنبذ لا في شعره ولا في سيرته، فهو يتعرَّض للنبذ الاجتماعي في السيرة الشعبية وفي السيرة التاريخية، ولعلَّ تسميته هو و"خفاف بن ندبة" و"السُّليك بن سلَّكة" ب:"أغربة العرب"<sup>2</sup> تكشف عن الرغبة المتعارضة في هؤلاء الشعراء، تكشف عن رغبة عنهم من خلال تشبيهمم بالغراب، وهو الطائر الأسود المقدم عند العرب في باب الشؤم، وهي الرغبة التي جعلت عنتره مجروحا في دخيلة نفسه بسبب سواده وعبوديته، فلم يجد سبيلا للتخلُّص من هذه العقدة إلا بالتَّخُلُق بأخلاق الجماعة الممدوحة،<sup>3</sup> وبما أن الفروسية هي أبرز المظاهر الاجتماعية التي كوَّنت بيئة العربي الجاهلي، فقد وجد "عنتره" والشعراء السودان في عصره، في الفروسية فرصتهم الوحيدة لستر سوادهم والتَّخُلُق من عقدة النَّقص التي كانوا يعيشونها بسبب ألوانهم الغرابية .

عاش هؤلاء الفرسان والشعراء السودان الثلاثة في مجتمع لا يترك للسودان الضعاف خياراً واحداً وهو العبودية، فإن كان الأسود رجلاً كان عبداً، وإن كان امرأة كان أمةً، وفي ذلك يقول "السُّليك بن سلَّكة": "اللهم إنك تهَيَّيْ ماشئت لما شئت إذا شئت، اللهم إني لو كنت ضعيفا كنت عبدا، ولو كنت امرأة كنت أمة، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة أما الهيبة فلا هيبة"<sup>4</sup>، وهذا هو ذاته لسان حال "عنتره" و"خفاف"، فمن أجل خلاص الأسود من العبودية، ومن أجل ستر القبح في لونه، لم يكن أمامه إلا أن يكون فارساً متمثلاً لكل مظاهر الفروسية

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق، ص505

<sup>2</sup> ابن قتيبة: الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ط3، ص154

<sup>3</sup> ينظر: نادر كاظم: تمثيلات الآخر، ص 506

<sup>4</sup> ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج20، ص390

العربية في عصرهم، وأهمها القوة والشجاعة والشعر والفصاحة،<sup>1</sup> لهذا اشتهر أولئك السودان بفروسياتهم وفحولتهم الشعرية.

أدركنا من خلال هذه المراحل التي مررنا بها منذ العصور القديمة، مدى عدم تقبل الزنجي في الأواسط الاجتماعية، وإدانته بسبب قبح سواده، ورفض لمختلف الثقافات لسواد لونه وبشرته وضخامة جسده، فصنّف الزنجي على أنه عبد لا أكثر، متناسين كل مظاهر الإنسانية، وأنه ليس لديه دخل في هذه الخلقة، وليس مخيراً في اختيار لون بشرته أو التحكم في سماته البيولوجية، بل هو إنسان يتساوى مع الأبيض في الحقوق والواجبات.

وعلى الرغم من حضور هذه النماذج الزنجية في الثقافة العربية، فإن ذلك لم يؤدّ إلى حضور حركة زنجية في بعدها السياسي، الاجتماعي والأدبي، فإذا تجاوزنا ثورة الزنج التي أفردنا لها صفحات سابقة، فإن الثقافة العربية الإسلامية لم تعرف نشأة واضحة لحركة زنجية لها ملامحها وخطابها الحقوقي الإبداعي، بما يعني أن هذه الحركة هي حركة غربية المنشأ، لها بالتأكيد خلفياتها السياسية والاجتماعية والقانونية. بل إن الملاحظ أنّ "الزنوجة" كانت ظاهرة ضاغطة اجتماعيا وسياسيا ودينيا في الثقافة العربية القديمة، ولم تكن كذلك على الإطلاق في الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة، وهذه إشكالية أخرى، هي مجال بحث آخر.

ولهذا ما كان للزنجي سوى أن يُنشأ أدبا خاصا به يعبر فيه عمّا يشعر به وعمّا يريد إيصاله لمختلف الثقافات الأخرى، نظرا لسأمة من سيطرة الأبيض، فقام بتصوير نفسه بنفسه، ومن هنا تجلّت البدايات الأولى لدخول الزنوجة الساحة الأدبية.

<sup>1</sup> ينظر: محمود ذهني: سيرة عنتر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1979، (د.ط.)، ص 45-46

# الفصل الأول:

## الزوجة حركة ثقافية وأدبية

1. مفهوم الزوجة.
2. بوادر ظهور حركة الزوجة.
3. واقع حركة الزوجة ووسائل التعبير عنها.
4. صدى حركة الزوجة وحدودها الجغرافية.
5. قضايا وأسئلة أدب الزوجة.

## 1. مفهوم الزئوكة: "LA NÉGRITUDE"

## 1.1 لغة:

ءاء في المعجم الوسيط:

(1) الزئج - زئج - الزئج: ءيل من السودان يءمير بالءلد الأسود، والشعر الءعبء، والشفة الغليظة، والأئف الأفطس، يسكن ءط الإسءواء، وءمءء بلادهم في المغرب الى الءبشة، بعض بلادهم على نيل مصر، والزئج يطلق الآن على بعض السلالات المنءءرة من القبال الإفرقية انىً اسءوئءء، والءمع: زئو. <sup>1</sup>

(2) زانء: الزئج نءءان: ءيل من السودان، وهم الزئو، زئجي وزئجي ءكاه "ابن السكيت" مءل رومي وروم فارسي وفرس <sup>2</sup>.

وقء ءاء معنى زئج في معجم "المعاني الءامع" كالتالي:

(1) زئءت الإبل: عطشء عطشا شءيءا

(2) زئج الرجل: ءقبضء أمعاؤه من العطس، لا يسءطيع اكءار الطعام والشراب فهو:

زئج.

زئج (إسما): الءمع زئج: زئج / زئج مفرءه: زئجي <sup>3</sup>. وقء ءاء في المعجم الغني: زئج،

زئج ءمع زئو:

(1) اسم كان يطلق على القبال الإفرقية، ومنه كان اسم: ءزيرة زئءار.

(2) سكان إفرقيا السود. <sup>4</sup>

والزئوكة: ءطلق على ذوي البشرة السوداء، ويقابلها باللغة الفرنسية "NÉGRITUDE"،

وهي كلمة أصلها لائيني "NIGRITUDO" <sup>5</sup>

<sup>1</sup> مءمع اللغة العربية: المءمع الوسيط، مءبءة الشروق الدولية، 2004، ط4، ص 45

<sup>2</sup> أبو الفضل ءمال الءين بن مكرم (ابو منظر): لسان العرب، ءار صاءر، 2003، ء7، ص63

<sup>3</sup> المعاني: لكل إسء معنى، معجم الكءروني، almaany.com ت ز: 2017/12/22

<sup>4</sup> عبء الغني أبو العزم: معجم الغني الالكءروني، ت ز: 2017/12/22

<sup>5</sup> مءموعة من المؤلفين: الزئوكة، الموسوعة العربية، مؤسءة أعمال الموسوعة للنشر والءوزيع، 1999، مء10، ط2،

اختلفت المعاجم والقواميس حول تحديد معنى "الزوجة"، ولقد اكتفينا بذكر هذه المعاني فيما يخص الزوجة من حيث اللغة.

إن المتابعة اللغوية والمعجمية لمصطلح معين لاتسعنا بين أحيان كثيرة في الإمساك بعلاقة ما بين المعنى اللغوي والمعنى الإصطلاحي، لذا عادة ما ينفصل المعنى الإصطلاحي عن نظيره المعجمي، وهو الأثر الذي يبدو بوضوح في مصطلح "كالزوجة".

## 1.2 إصطلاحاً:

يطلق مصطلح "الزوجة" على ذوي البشرة السوداء، ولكن المصطلح بهذه الصيغة ظلّ يستخدم ليطلق على حركة ثقافية وحقوقية وأدبية، وطبيعي أن الزوجة حين تكون بهذه الدلالة فليس شرطاً أن يكون حاملوها والمعبرون عنها من ذوي البشرة السوداء.

أما مصطلح "الزوجة" كمصطلح أدبي: يقصد به تلك الأعمال الأدبية والخصائص اللغوية والأسلوبية التي تميّزت بها كتابات الزوج، التي كانت تعبّر عن رفضهم لسيطرة البيض على جنس السود، وطمس هويته وشخصيته، والمعاناة التي كان يكابدها الزنجي في المجتمع الأبيض المركزي، ونبذ تلك الصورة المهّمّشة التي لطالما كانت تُرسم للإنسان الأسود بنظرة احتقار، فحاولوا من خلال هذه الكتابات إثبات وجودهم نظراً لما وجدوه من اظطهاد واستعمار.

وردت عدّة تعريفات لمصطلح "الزوجة" كحركة إفريقية أدبية وسياسية، فيعرف الفيلسوف الفرنسي "جون بول سارتر" الزوجة بأنها: "موقف عاطفي حيال العالم"<sup>1</sup>، فهي موقف إنساني حيال الكون والعالم.

ويعتبر "إيميه سيزير" "AIMÉ CÉSAIRE" هو أول من ابتكر كلمة "الزوجة" وهي بالنسبة إليه: "مجرد اعتراف المرء بواقع أن يكون أسود، وقبوله بهذا الواقع ويقدر الأسود

<sup>1</sup> الصادق محمد آدم: قضايا الأدب الإفريقي وتحدياته: قضية الزوجة، مجلة الألوكة الثقافية، 2012/08/08، ص 14،

تاريخيا وثقافيا"<sup>1</sup>، بمعنى قدر الأسود الذي يواجه رهاب العرق الآخر، واستغلال الرجل الأبيض.

ظهر أدب الزوجة كنوع من صرخة الهوية وشقاء الوعي بالذات والمعاناة التي تكبدها الإنسان الأسود عبر القرون، فجاء هذا الأدب نضالا ضد العنصرية، ومساعدة العالم الأسود على الانعتاق.

أما " ليوو بولد سدار سنغور " **LÉO POLD SÉDAR SENGHOR** فيذهب أبعد من "سيزير" في مفهوم الزوجة، يقول: "الزوجة واقع وثقافة، إنها مجموعة من القيم الاقتصادية والسياسية والفكرية والمعنوية والفنية والاجتماعية لدى شعوب إفريقيا والأقليات السوداء في أمريكا وآسيا وأوقيانيا"<sup>2</sup>، ف"الزوجة" عنده مجموع القيم الثقافية في عالم الشعوب السوداء، والتي يعبرون بها عن أوجه الحياة.

لذلك كان لابد لهذه "الزوجة" أن يكون لها حضور في النص الإبداعي الإفريقي، بالأحرى في حكاياته القصصية أو الشعرية أو موسيقاه التي تحولت فيما بعد إلى مرجعية أساسية في الألحان الأروبية أو الغربية عموما. كما يمكن أن نقول أنها -الزوجة- تعني الحنين إلى الماضي ومآسي العبودية ومخاض الحرية وآمال المستقبل.

و"الزوجة" عند "سنغور" لاتمثل عنصرية مضادة بقدر مانتسح لتقبل أفضل ما عند الآخرين، ومع أن صاحبه "سيزير" ابتكر كلمة "الزوجة"، فقد كان هو -سنغور- فيلسوفها وعقلها، وعلى يده اتخذت أبعاد متطورة، وانتهت إلى احتضان الكون ورض العنصرية والتعصب من أي نوع، دون التخلي عن أساسها الفكري الذي لخصه هو نفسه في قوله:

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 16

<sup>2</sup> المرجع نفسه، 16

" إنها إدراك القيم الثقافية والإفريقية"<sup>1</sup>، والدفاع عنها وتطويرها، وإنها " المجموع الكلي لحضارة العالم الإفريقي"،<sup>2</sup> فهي ليست عنصرية وإنما ثقافة.

ظل "سنغور" يحاضر عن الزوجة ويدافع عنها طوال رئاسته لأول جمهورية في البلاد (السنغال).

وهكذا ظهر مصطلح الزوجة، فقد كانت في بدايتها عبارة عن حركة سياسية صرفة، ثم تحولت إلى ثورة ثقافية، وعلى هذه المرتكزات الثقافية نهض اتجاه الزوجة بحركتها الفنية والسياسية، وقد انضوى تحت رايتها ولواءها عدد كبير من المثقفين الزوج لتتمثل إدراكهم لعرقهم الأسود الذي يعتمد على أصالة الروح السوداء.

## 2 بوارد ظهور حركة الزوجة:

تميز الأدب الإفريقي عامة بحديثه عن الحالة المأساوية التي فرضها عليه الاستعمار، وكذا مناشدته للحرية والاستقلال، لكن بعد أخذ الشعوب الإفريقية استقلالها، تحول الأدب بها من الاحتجاج والسخط والمقاومة، إلى تناول موضوعات جديدة، وأهمها: بناء الإنسان الإفريقي وإعادة ترميم الزنجي المحمل بتركة ثقيلة من التخلّف والشعور بالضياء، فكان مصطلح الزوجة بمثابة الظل الذي يلجأ تحته هذا الأدب.

تطلق تسمية أدب الزوجة "LA NÉGRITUDE" على تيار أدبي وإيديولوجي، ظهر في مرحلة ما بين الحربين العالميتين، خلال النصف الأول من القرن العشرين، وإن كانت بداياته وجذوره النظرية سابقة على ذلك، وخاصة ما نشأ منها في جزر الأنتيل والكاريببي، وأمريكا<sup>3</sup>.

أخذ هذا التيار زخماً أدبياً وعالمياً أكبر لدى بعض الكُتاب السود الناطقين بالفرنسية، فمنذ أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات ظهر بباريس أعداداً من أبناء البحر "الكاريببي"

<sup>1</sup> نيك سبيت: أصول فطرة الزوجة، تر: صالح الزوق، مجلة الف، 2009/12/14، ص 12، ت ز: 2017/12/23

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 12

<sup>3</sup> الحسن ولد مختار: أدب الزوجة: الصوت يخترق جدار السوط، مجلة الإتحاد الإلكترونية، ت ن: الخميس 31 ديسمبر

2015، ت ز: 2017/12/27

وغرب إفريقيا، جاءوها للدراسة، وأبرز هؤلاء الطلاب ثلاثة هم: "إيميه سيزير" " AIMÉ CÉSAIRE" ابن جزيرة "المارتك"، و"ليون داماس" "LION DAMASS" ابن جزيرة "جواديلوب" (كلاهما من جزر الكاريبي)، و"ليوبولد سيزار سنغور" "LÉOPOLD CÉDAR SENGHOR" ابن "السنغال"، وكان الشعراء الثلاثة شديدي التعلق بإفريقيا وتراثها، كثيري السخط على الفرنسيين وسياستهم القائمة على طمس الهوية الإفريقية صبغها باللون الأبيض.<sup>1</sup>

بيد أن حركة الزوجة بدأت في نيويورك عام 1919 عندما أطلق عليها اسم "حركة الزوجة النهضوية"، وامتد نشاطها إلى باريس، ومن هذه النقطة سنعرض لحركة الزوجة في أمريكا أولاً، وكيف عبّر الأدباء والفنانيون الزوج في أمريكا عن سخطهم وغضبهم من أجل تقرير مصيرهم، لنصل فيما بعد إلى حركة الزوجة في باريس وكيف امتدّ نشاطها، والوسائل التي ساعدت في امتدادها.

## 2.1 حركة الزوجة في أمريكا:

ليست الولايات المتحدة الأمريكية البلد الوحيد الذي سعى إلى صوغ مفهوم الأفريقية أو الزوجة، ثمة دول عديدة كدول أمريكا الجنوبية، إنجلترا، فرنسا وإسبانيا، شاركت ثقافتها وساهمت في بلورة مظهر من مظاهر "إفريقيا المبتكرة"، ولكن ظهرت الأفريقية في صيغتها الأمريكية كظاهرة منشودة بقوة، خدومة للغاية مدعّمة للذات في حضرة الآخر، ومنتشرة بكثرة، لأسباب هامة تتعلق بالدولة.<sup>2</sup>

يعتبر نضال الأمريكيين السود في سبيل حقوقهم الإنسانية والاجتماعية من أهم المواضيع والأحداث التي احتلت مكانة لها في تاريخ أمريكا خلال القرن العشرين، وعلى

<sup>1</sup> ينظر: الصادق محمد آدم: قضايا الأدب الإفريقي وتحدياته، ص2

<sup>2</sup> ينظر: توني موريسون: اللّهُو في العتمة، البياض والمخيلة الأدبية، تر: توفيق سخان، دار الحوار للطباعة والنشر

والتوزيع، سوريا، 2006، ط1، ص 46-47

الرَّغْم من أن الرئيس "أبراهام لينكولن" "ABRAHAM LINCOLN" كان قد أُلغى خلال الحرب الأهلية في عام 1863 نظام استرقاق السود، إلا أن وضعهم في المجتمع الأمريكي بقي سيئاً للغاية، حيث عملت القوانين الحكومية -خاصة في الجنوب- على إبقاء الأمريكيين السود يعيشون ضمن أوضاع اجتماعية متردّية، ويضاف إلى ذلك وجود منظمة تتمتع بالنفوذ والقوة، عملت على القيام بأعمال العنف ضدّ هؤلاء السود، وهي منظمة "كوكلوكس كلان" "KUKLUX KLAN"،\* ومع انتهاء القرن التاسع عشر تقريبا، أخذ عدد كبير من هؤلاء السود بالانتقال من الجنوب اتجاه مدن الشمال، حيث أصبح وضعهم الجديد في مثل هذه المدن كـ"نيويورك" أفضل مما كان عليه إلى حدّ ما، حيث بدأ الكتّاب والفنانون السود الشباب نضالهم الطويل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية لأهلهم.<sup>1</sup>

كانت عمليات التصفية التي قامت بها المنظمات الأخوية الأمريكية إلى جانب الخلفية العدائية والاستعلائية المستندة إلى فكرة أفضلية البيض، وتمييزهم العرقي والثقافي، من الأسباب التي أدت إلى ميلاد وعي زنجي مفارق يحاول أن يوضع الوجود الزنجي في إطار حركة ثقافية وأدبية، تمثل الوجه الثقافي والإبداعي لهذه الحركة. وربما كان ظهور ما عُرف بعدها بالأدب الأمريكي الإفريقي، أو الأفريقياني، مظهرا من مظاهر المقاومة الزنجية لكل أشكال الإلغاء والطمس والتطهير العرقي والثقافي.

يدلُّ مصطلح الأدب الأمريكي الإفريقي على الأعمال الأدبية المكتوبة من طرف الأمريكيان المنحدرين من أصول إفريقية، فقد دخل هؤلاء قبيل الثورة الأمريكية في حوار طويل وشاق مع الآداب الأمريكية، وكانت نتيجة هذا الحوار أن أبدع الأمريكيان الأفارقة أدبا عاليا من حيث رهافة التعبير والتبصُّر الاجتماعي، أسهم مساهمة فعّالة في إعادة النظر في مفهوم الهوية، بل الهويات الأمريكية، كما أسهم أيضا في تقديم قراءات جديدة ومثيرة لتاريخ

\* منظمة عنصرية موجودة في أمريكا، تؤمن بالنّفوق للعرق الأبيض، تعتمد هذه المنظمة على استخدام العنف والإرهاب والممارسات التعذيبية على من يكرهونهم مثل: الأمريكيين الأفارقة

<sup>1</sup> ينظر: بيتر هاي: موجز تاريخ الأدب الأمريكي، تر: علي حجازي، منشورات دار وزارة الثقافة، سوريا، 1990، ص 267

أمريكا، فرغم الظروف المهيمنة على الأمريكيان الأفارقة التي عاشوها في العالم الجديد من رِقّ وفقر واطّهاد ومنعهم من تعلّم الكتابة والقراءة وحتّى من ممارسة ثقافتهم الإفريقية، استطاعوا إنتاج أدب وثقافة ساهمت في إعادة النّظر لهذه الأقليات وإلى مفاهيم العرق والهوية.

تعالى صوت "فيليس ويتلي" "PHILLIS WHEATLAEY"، وهي شاعرة إبنة إفريقيا، عبر مجموعة شعرية عنوانها: "قصائد في مواضيع متنوعة دينية وأخلاقية" 1773، مطالبة بالعدالة الاجتماعية، فكانت هذه المجموعة الشعرية بمثابة الحجّة الدامغة المفنّدة للإدعاء الذي شكّل أحد أسس الاسترقاق، والقائل بأن عدم قدرة الأفارقة على إنتاج أدب زنجي معتبر يشكّل في حدّ ذاته دليلاً على نقائصهم الفكرية وبالتالي قابليتهم للاسترقاق.<sup>1</sup>

وفي بداية القرن التاسع عشر، تركّز اهتمام رواد الكتابة الزنجية على القضية المستعجلة والمتمنّلة في النّضال بكل الوسائل من أجل القضاء على مؤسسة الرّق، وذلك عبر عدد من الجرائد والمجلّات<sup>2</sup>، التي عبّرت عن تنامي العنف العرقي وأفصحت التعبير عن الروح الوطنية والتضامن في الأواسط الأمريكية الإفريقية.

استفحل نظام الميز العرقي في الجنوب، وأمام القبول الضمني من طرف ولايات الشمال، استحسن جماهير السود زعامة "بوكرت واشنطن" "BOOKERT. WASHINGTON"، وتبنّوا سياسة الاعتماد على النفس التي روّج لها في سيرته الذاتية "الخروج من الرّق"، إذ أن "واشنطن" صوّر حياته بشكل يجسّد فكرة أساسية، وهي أن السود بإمكانهم تحقيق الحياة الشريفة وذلك بالعمل على إبراز قدراتهم الفردية كمنتجين ومساهمين في المجتمع لاجبار البيض بمعاملتهم بالعدل والمساواة أمام القانون.<sup>3</sup> وراحت العلاقات

<sup>1</sup> ينظر: خميسي بوغرارة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص 39

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 39

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 41

العرقية تزداد تدهورا مع بداية القرن العشرين، ممّا حفّز كثيرا من الكتابات الاحتجاجية وخاصة المقاومة لأفكار "واشنطن" الاندماجية في الصحافة الزنجية.

### 1) بداية النضال على الصعيد الأدبي:

بدأ هذا النضال على الصعيد الأدبي حينما أصدر "وليم إدوارد برغهارت دوبويس" (1863-1963) "WILLIAM EDWARD BURGHRT DU BOIS" كتابه الذي يحمل عنوان "أرواح الناس السود"، يصف هذا الكتاب آثار التّعصّب الأمريكي الأبيض على عقول السود، كما أنه يصف وللمرّة الأولى في تاريخ الأدب الأمريكي ثقافة الأمريكيين السود خاصة، هذه الثقافة التي وحدتهم في إطار "أمة" واحدة، واستخدم "دوبويس" موضوع "الثقافة القومية للسود" في روايته "البحث عن الصوف الفضي" الصادرة عام 1911، و"الأميرة السوداء" الصادرة عام 1928،<sup>1</sup> وخلال الثلاثينات أصبحت قارة إفريقيا مثار اهتمامه، خاصة وأنه كان يراها الموطن الأساسي للسود من الناحيتين: الثقافية والروحية: "إن هذه إفريقيا ليست بلدا، إنها عالم، كون مستقل بذاته ولذاته، إنها شيء مختلف، ضخم... إنها صدر أسود كبير، تعيش الروح فيه طويلا قبل أن تموت"<sup>2</sup>، ف"دوبويس" يتغنّى بإفريقيا ويعتزُّ بانتمائه إليها.

نادى "دوبويس" أيضا بالحرية وحق الانتخاب والحقوق المدنية الأخرى في كتابه "عقول السود البسطاء"، مؤكدا على أن الأمريكيان الأفارقة سيقومون بالتغيير الإيجابي الاجتماعي الثقافي في الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت الفترة التي امتدت خلال العشرينات تعرف باسم "عصر الجاز"، والجاز شكل موسيقي ابتكره السود الجنوبيون، ثم أصبح جزءا من حضارة البيض خلال هذه الفترة، أضف إليه نوع آخر وهو "البلوز"، ونرى "دوبويس" يبيّن اعتزازه بالنّزاع الثقافي الزنجي وخاصة

<sup>1</sup> ينظر: بيتر هاي: موجز تاريخ الأدب الأمريكي ص 267

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 268

بموسيقى الزنوج وأغانيم الروحية، ويرى أنها لا تمثل فقط الموسيقى الأمريكية الوحيدة، إذ أن البيض لم يبدعوا مثلها، بل اعتبرها أحسن تعبير عن التجربة والحياة البشريتين، على أرض أمريكا.<sup>1</sup> ولأول مرة، أصبحت أسماء الموسيقيين والكتاب السود تحظى بشهرة واسعة بين أواسط الأمريكيين.

## (2) نهضة هارلم:

مع دخول أمريكا الحرب العالمية سنة 1917، كانت هارلم على موعد مع التاريخ الأدبي لتصبح أكبر مدينة زنجية في العالم، حيث استقطبت أهم رواد الفكر والفن مثل: "دوبويس"، و"جايسمن والدين" "JAMES WELDON"، و"جونسن" "JOHNSAN"، بالإضافة إلى آلاف المهاجرين من الجنوب.

تمثل الظاهرة المعروفة ب"نهضة هارلم" ازدهار حركة الزنجي الجديد في الأدب والفن في العشرينات، حيث تأثر الكتاب السود بالأساليب التجريبية للأدب الأمريكي والأوروبي وحالوا استخدام هذه الأساليب عن تجربة المواطنين السود في المجتمع الأمريكي،<sup>2</sup> وكان هؤلاء الكتاب قادرين على خلق أعمال ذات نوعية عالية.

## (3) الشعر والرواية والمسرح في نهضة هارلم:

يعتبر كتاب "كاني" "CANNE" الصادر عام 1923 لمؤلفه "جان تومر" "JEAN TOOMER" (1894-1967) من أشهر أعمال هذه الحركة، يتحدث في الجزء الأول عن النساء السود في الجنوب، حيث يرى تومر - فيهن جمالا طبيعيا، فيصور فتاتين تقومان بتمشيط شعرهما عند الصباح:

تجنّوان هناك بعيون مثقلة داكنة...

أميرتان في إفريقيا تتوضآن في الصباح الباكر

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق، ص 269

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 228

لتؤديا طقوس الصلاة الوثنية.<sup>1</sup>

يتغنّى "تومر" هنا بالجمال الإفريقي الطبيعي الأسود، فالجمال عنده جمال أسود بعيون كحلية داكنة.

أما "لانغستون هيوز" LANGSETON HUIZE (1902-1967) كان زعيما آخر من زعماء نهضة "هارلم"، حيث ساعد العديد من الكتاب السود الآخرين نمو أعمالهم، فقد إهتم كثيرا بالطبقات الدنيا من المجتمع الزنجي، ففي قصيدته "الزنجي يتكلم عن الأنهار" THE "NEGRO SPEAK OF RIVERS"، نجده يصرُّ على الوحدة التاريخية الحتمية لكل المنحدرين من أصول إفريقية في أمريكا، كما يعبر عن فخره بالانتماء للعرق الزنجي فيكتب:

أنا زنجي

أسود تماما كما الليل الأسود

أسود كأغوار بلدي إفريقيا<sup>2</sup>

فنلمح في قصيدته هذه تجاربه مع ايقاعات البلوز والجاز الموسيقية السوداء والتي تشكل مصدرا ثقافيا أساسيا.

وكان ثالث شعراء نهضة "هارلم" هو الشاعر "كونتي كوللين" CONTEE "CULLEN" (1903-1946)، إلا أنه لم يكن يريد أن يكون مجرد شاعر زنجي أسود، بل أراد أن يكون شاعر الجنس البشري كله. يقول في قصيدته "ومع هذا أتعجب":

<sup>1</sup> ينظر: بيتر هاي: موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ص 229

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 270

ومع هذا أتعب من هذا الشيء الفضولي:

خلق شاعر أسود والطلب إليه أن<sup>1</sup>

نلاحظ بالرغم من أنه لم يكن يعتبر نفسه شاعرا عرقيا، إلا أن أشعاره تطرقت إلى عدد من المواضيع التي تهّم الزواج، فعبر عن الاحساس بالغربة في المجتمع الأبيض ومعاناة السود من ويلات الميز العنصري والاضطهاد العرقي.

وكانت الخطوة التالية في أدب السود هي إخراج هذا القلب النازف من مخبئه وهذا ما فعله "ريتشارد رايت" **RICHARD WRIGHT** (1908-1960)، في عدد من أعماله مستخدما تقنيات واقعية قوية، حيث نرى القصص القصيرة في مجموعته الصادرة 1938 بعنوان (العم طوم) تعطينا وصفا مفصّلا للعنف الذي يستخدمه مجتمع البيض الجنوبي ضد السود. ويصف لأول مرة العنف الكامن في إنسان أسود في روايته "ابن الوطن"، ذلك لأن الكتاب السود كانوا دائما يصفون أبناء قومهم على أنهم ضحايا عنف البيض، لكن "رايت" يعرف تماما أن الوضع الاجتماعي للسود هو الذي دفع بهم إلى أن يصبحوا عنيفين أيضا.<sup>2</sup>

كما ساهم "كلود مكاي" **CLAUDE MCKAY** أيضا في نهضة "هارلم" في الشعر والرواية وخاصة خلال نوعية اهتمامه بالعرقية والكرامة الزنجية، وكان من بين الأوائل في استعمال اللهجة الزنجية الجمايكية في الشعر، فيستحضر ببراعة متناهية جو الحياة السوداء، والتي تتمثل في مجموعة من أشعاره النضالية مثل: "إذا كان لابد من الموت" 1919

"الصعلوك" 1922، والتي جمعت تحت عنوان "أشباح هارلم"، 1922 فاعتبر الإنجاز

الأدبي الأهم والأول في نهضة "هارلم".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 271

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 272

<sup>3</sup> ينظر: خميسي بوغرارة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص 31

استمالت نهضة هارلم واستلهمت بعض المسرحيين، فنجد مثلا "ويليس ريتارد سن" **WILLIS RICHARD SON** الذي بدأ يكتب المسرحيات ذات المشهد الواحد، كرد فعل إزاء التصوير المشوّه الذي يتعرّض له الزوج في المسرحيات، فكتب أول مسرحية غير موسيقية تحت عنوان "كنز المرأة العجوز" 1923، عالج في أعماله موضوعات مختلفة، كالرجولة الزنجية وسلوك عائلات الطبقة الوسطى والعلاقات بين الأعراق،<sup>1</sup> واستبق بأفكاره الرائدة حول حاجة السود الماسة إلى مسرح وطني ودور الكتابة المسرحية في التعليم وتربية المجتمع الزنجي.

#### (4) صورة الزنجي في الأعمال السينمائية:

خاض السود الأمريكيون معارك عدة من أجل حصولهم علي حقوقهم المدنية، والتخلص من سياسات التمييز العنصري. فكانت السينما هي أحد المجالات التي لعبت دورا كبيرا في نضال الأمريكيين من أصل أسود من أجل الحصول علي حقوقهم ومحاولتهم لأن يكونوا مواطنين ذوي أهلية في المجتمع الأمريكي. وقلة هم الذين دأبوا على الكتابة عن السينما السوداء، فأثبتت الدراسات أن أول مخرج أسود في تاريخ السينما الأمريكية هو "ويليام دي فورستر" **WILLIAM DE DORSTER** والذي قدم أول فيلم له في عام 1910 بعنوان "ساعة السكة الحديد"، وهو فيلم كوميدي عن عمال السكة الحديد من الزوج، حيث قدم الزوج في قالب كوميدي لا يختلف كثيرا عن الأنماط التي كانت السينما الكوميديّة الأمريكية تقدم فيها الزوج الأمريكيين. ثم قدم المخرج الكبير "جريفث" **GRIFFITH** رائعه الشهيرة "مولد أمة"، والذي احتوي على مشاهد لفترة ما بعد الحرب الأهلية الأمريكية، وفيها يظهر بعض من الأمريكيين الزوج يمشون حفاة الأقدام يغازلون فتيات بيضاء البشرة، مع كل أنماط الصور التي تحط من شأن الزوج. كان يرسخ لصورة الزنجي الهمجي اللص القاتل.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق، ص 34

قدم في عام 1919 "أوسكار ميتشو" "OSCAR MITSHO"، أول أعماله السينمائية في السينما الأمريكية، طرح "أوسكار" بعض مشاكل المجتمع الأسود التي لم يتحدث عنها أحد كثيرا في ذلك الوقت، مثل شخصية الأمريكي الأسود الذي يحاول أن يبيض بشرته بالمساحيق ليصبح أبيض، سيطرة الأفكار الدينية الممزوجة بالتراث الإفريقي على السود، التفرقة العنصرية، فترك بصمة هامة في تاريخ الأفلام السينمائية، حاول جاهدا الارتقاء بالسينما الإفريقية، ومن أعماله "أكريزمان"، "الروح والجسد"، "حق الولادة" التي تضمنت مفاهيم سياسية.<sup>1</sup>

نجح الزوج في فرض حقوقهم في المجتمع الأمريكي، ونال فنانوهم وممثلوهم التقدير الذي يستحقونه، وأصبح البيض يقدمون مشاكل مجتمع الزوج من خلال أفلامهم وأصبح نجوم هوليوود السود من أكبر دعائم تلك الصناعة، صار للسينما السوداء جذور راسخة في تشكيل الثقافة السينمائية الأمريكية.

## 2.2 امتداد حركة الزوجة إلى باريس:

كانت حركة الزوجة في أمريكا تمثل اللبنة الأولى أو العتبة التي فتحت الباب لإعلاء صوت كان خافتا منذ قرون، هذا الصوت رسمته بأدب ودأب حناجر إفريقية زنجية مبدعة شقَّت طريقها بصعوبة لوصف مرارات الماضي ومعانقة أشواق الحاضر، واستشراف تطلُّعات المستقبل، فعبرت هذه الأصوات بنبرة الحدة والشدة، في رفع راية الحق في وجه المظالم الإنسانية والثقافية<sup>2</sup>، وكسر تلك الصورة النمطية المحجوزة في الأذهان، التي تستدعي مشاهد الفقر وكوابيس الظلم والمجاعة والحروب وتهميش وتهشيم وتشوُّش وتشوُّه الذات والهوية الثقافية والتاريخية.

<sup>1</sup> ينظر السينما الإفريقية الأمريكية، منتديات ستار تايمز، ت ن: 2007/07/18، 14:14، ت ز: 2018/01/03

<sup>2</sup> ينظر: الحسن ولد مختار: أدب الزوجة، الصوت يخترق جدار السوط، ص، 3.

امتدَّ النشاط الزنجي الأمريكي إلى باريس، إلى أن أصبح تياراً أدبياً عالمياً لدى بعض الكتاب الناطقين بالفرنسية المذكورين سابقاً: (ايميه سيزار، ليون داماس، ليو بولد سيدار سنغور)، حين توطأ الشبان الثلاثة الدين كانوا يدرسون في باريس على تأسيس مجلة "الطالب الأسود" **ETUDIANT NOIR** ، لدعم هذه الحركة الأدبية الجديدة وهو ما أسهم بشكل قوي في إرساء هذا التوجُّه.

كان الفضل البالغ لهذه الحركة بالنسبة للعديد من الأفارقة في الوثوق بزنجيتهم وهويتهم التي كانوا قد تركوها مع الضغط والاستفزاز الغربي، فقد أصبحوا معتزّين بلونهم الأسود، يقول الدكتور "كوجير": "إذا سعدت روعي إلى السماء وقال لي ربي: "أجري إني سأرسلك إلى الدنيا مرة أخرى فما ريك، أفضّل أن ترجع أبيض اللون؟ فسوف أجيبه "لا" أرسلني أسود رجلاً أسود..."<sup>1</sup> فمن خلال هذه الحركة تمَّ الاعتراف بحق الشخص الأسود، بأن يكون كغيره بالتمتع بحق العيش كالرجل الأبيض.

الملاحظ أن الحركة في بدايتها كانت لها خصائص ثورية، ثم اقتربت إلى أن يكون مذهباً للاستعلاء العنصري ومنع الاتصال مع الأوروبيين، وسرعان ما تحولت إلى مذهب يصلح للحوار مع الإدارة الاستعمارية من جهة، والتمكن من اختراق الحاجز اللغوي بين الإفريقيتين تحت ظلّ المستعمرات والفضل يعود إلى مجموعة من الأدباء المنضمين للحركة وهم يجيدون أكثر من لغة من جهة أخرى.

استعمل أول مرة مصطلح "الزوجة" -كما قلنا سابقاً- في قصيدة "ايميه سيزار"، (دفتر العودة إلى أرض الوطن)، حاول خلالها تشخيص الملامح الإفريقية التي تبدأ منها الدعوة إلى الزنجية بعيداً عن تلوثها بكل ما هو أروبي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> شريل داغر: أنطولوجيا الشعر الزنجي الإفريقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، 1998، ط1، ص34

<sup>2</sup> ينظر: شيخ أنتاديبوب: الأصول الزنجية للحضارة المصرية، دار المعارف للنشر، عمان، الأردن، ط1، ص114

أطلق "ايميه سيزار" هذا المصطلح كدعوة احتفالية بالزنج والثقافة الزنجية، وكان مشروعه تأسيسا لسياسة رفض كل منتج ثقافي فرنسي وتعزيزا لتلك الثقافة المهمشة التي تشكل جزءا من صيغة الذات وهويتها، مشروع "الزوجة" كان ثقافيا بالدرجة الأولى، يسعى لرفض صفة التمرکز أو الميل لأي جنس محدد في العالم، وتأييد الإنسانية مع التركيز على الطبقة المظلومة والمضطهدة، فدخلت كلمة الزوجة معجم الفرنسية في الثلاثينيات، وكان لها دور كبير في شعر الإفريقيين المكتوب بالفرنسية بصفة خاصة، وبعدها انتشرت في اللغات الأخرى، فأصبحت الكلمة محورا يدور حوله الأدب ومادة للجدل والنقاش،<sup>1</sup> فالزوجة هي المجموعة الكاملة لقيم الثقافة الإفريقية لإثبات كرامة الأصل الإفريقي، كما أنها تعتبر مظهرا من مظاهر الشخصية الإفريقية.

"الزوجة"، هذه الحركة السياسية والأدبية بالدرجة الأولى والتي نشأت في الغربية، ماهي إلا واحدة من التيارات الأدبية والفكرية التي طرحت قضايا التحرر والتراث والتقاليد والعنصرية والشخصية الإفريقية، فقد حطَّ الأروبي من قدر الزنجي عقليا وحضاريا، وأصبح يقاربه من التَّخَلُّف والبدائية والقدرة العقلية المحدودة، حيث ذاقت الشعوب الإفريقية مع نهاية الحرب العالمية الأولى نوعا من الاستقلالية بعد أن تجرَّعت الويل والعذاب في وطنهم الأم،<sup>2</sup> ونظرا لهذه الظروف استطاع أبناء إفريقيا أن يجدوا لقضيتهم الإنسانية حركة يمارسون من خلالها حرية التعبير عن شعوبهم، والدِّفاع عن الحقوق المسلوقة، وهذا راجع إلى الوعي الفكري الذي هُوَّاء الطلاب: "سيزير"، "سنگور"، "داماس".

اعتبر المؤسسون لأدب الزوجة أن الوعي بالذات الإفريقية الزنجية والاعتراف بخصوصيتها وتفردتها، هو أول شرط لإعادة الاعتبار لأبناء القارة، ورفع مظالم التاريخ، فالمطلوب من الزنجي أولا أن يعترف بزنجيته، وبأنها شيء آخر غير تلك النمطية التي يريد

<sup>1</sup> ميجان الرويلي، سعد البازعي " دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ط3،

ص163

<sup>2</sup> ينظر: الصادق محمد آدم: قضايا الأدب الإفريقي وتحدياته، ص7

الرجل الأبيض اختزله فيها، وهذا ما يعبر عنه ببلاغة وشاعرية "ايميه سيزير" حيث يردّد: "زواجتي ليست صخرة صماء صمّمها اندفاع عكس صخب اليوم... زواجتي ليست وسادة ماءٍ راكدةٍ مندفع ضد جعجة اليوم.. زواجتي ليست وسادة ماء راكدة في عين الأرض الميتة... إنها ترتمي في الإهاب الأحمر للأرض ترتمي في إهاب السماء المتوهج تخترق الكأبة المعتمّة لنسغ الأرض القاني".<sup>1</sup>

وهذا التمثيل الشعري لمعنى "الزوجة"، نجد له صدى لا يقل شعرية أيضا في قصيدة للشاعر السنغالي والرئيس الأسبق "ليو بولد سيدار سنغور"، وهو المؤسس الآخر لتيار أدب الزوجة، فإن سنغور هو فيلسوفها وعقلها، وعلى يديه اتخذت أبعادا متطورة وانتهت إلى احتضان الكون ورفض العنصرية، حيث يهمس في أذن الصمت والوقت: "زواجتي، في نظري، ليست سباتاً للعرق وإنما شمس للروح زواجتي بصيرة وحياة زواجتي مجرفة في اليد تلوح في الكف كالصولجان. ولكن هل يفهم الآخر، الرجل الأبيض، حقيقة هذه الزوجة، من حيث هي ذات، هوية، هوى، مجاز، مزاج، ووعي بالوجود، وثورة على كل القيود والحدود؟" يجيب "سنغور"، في عمله "بورترية": إنه لا يدري بعد معنى عناد ضغينتي المشحونة بأنسام الشتاء ولا مدى إلحاح زواجتي المستبدة بجُماع المشاعر والوجدان! بل لا يفهم الرجل الأبيض وهو يهيل ويكيل، كيفما اتفق، الصور النمطية السلبية، بل السالبة للإنسانية، لأخيه الأسود، حقيقة الفرق بينهما حقاً<sup>2</sup> صحيح أن "سنغور" رفض العنصرية والتعصب من أي نوع، لكنه لم يتخل عن أساسها الفكري الذي لخصه هو نفسه، في قوله: "إنها إدراك القيم الثقافية الإفريقية" والدفاع عنها وتطويرها، وإنها "المجموع الكلي لحضارة العالم الإفريقي"<sup>3</sup> فهي ليست عنصرية وإنما ثقافة.

<sup>1</sup> شربل داغر: أنطولوجيا الشعر الزنجي الإفريقي، ص34

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص37

<sup>3</sup> عبدة وازن: شاعر الزوجة والالتزام والرئاسة، جريدة الحياة، العدد14159، ت ن 2017/12/22، ص10

نالت الحركة شكلها الفني بظهور كتاب "سنغور" "مختارات من الشعر الزنجي والملاجسي الجديد"، ثم أصدر "ليون داماس" ديوانه عام 1937، الذي تميز بالمرارة الشديدة على الأوضاع القائمة، ونلمس هذا الغضب في قصيدته "البطاقة السوداء"، حيث استهلها كعادته بأسلوبه الساخط للتعبير عن النظرة الإفريقية التقليدية للجمال، والتي تجعل السواد معيار الفضيلة، كما تعتبر ثقافات أخرى البياض محور الحسن والفضيلة فيقول: لا يكون الأبيض زنجياً قط، لأن الجمال أسود، والحكمة سوداء، ولأن التحمل أسود والشجاعة سوداء، ولأن الجاذبية سوداء والشعر أسود، ولأن الفن أسود والحركة سوداء، ولأن الضحك أسود ولأن المرح أسود والحياة سوداء"<sup>1</sup>، فنلاحظ بأن الزوجة عند الإنسان الأسود تختلف تماماً عن نظرة الإنسان الأبيض لها فهي تمثل بالنسبة له كل شيء جميل وراقٍ وقوي.

ثم أصدر "سيزار" عام 1939 ديوانه "دفتر العودة إلى أرض الوطن"، وهي قصيدة واحدة مطوّلة تصف المرارة الشديدة، والتي كتبها بعد أن غادر المدرسة العليا باريس، حيث كان يدرس ليعود إلى بلاده، والتي تضعنا في قلب الصراع الدائر بين البلدان المستعمرة، والبلدان المولّى عليها الهيمنة الإستعمارية.<sup>2</sup>

أما "سنغور"، فقد تأخر في نشر ديوانه بسبب الحرب العالمية الثانية، غير أنه لم يقل حماسه لسواد إفريقيا والزوجة عن صاحبيه، فكانت الزوجة أشبه بكلمة السر في الشعر الإفريقي المكتوب باللغة الفرنسية خلال الأربعينات والخمسينات.

### • الزوجة: من الفن الشعري والروائي إلى المسرحي:

غير أن الزوجة تجاوزت الشعر والرواية وأوجدت للمرة الأولى فن المسرحية الإفريقية، كانت مدرسة "ويليام بوتّي" بالسنغال ملقّي الطلاب الأفارقة الغربيين الفرنسيين، فالتقاليد الناطقة بالإفريقية المزوجة تعطي العروض التمثيلية محادثة غنية بالموضوعات التاريخية

<sup>1</sup> الصادق محمد آدم: قضايا الأدب الإفريقي وتحدياته، ص8

<sup>2</sup> حسونة المصباحي: ايميه سيزار، نحن الآن واقعان... بلدي وأنا، مجلة الإتحاد الإلكترونية، الثلاثاء 21 يناير 2017،

والاجتماعية التي تصب في القضية التي تكافح من أجلها الزوجة، فنتج عن هذا أن نقل هؤلاء الطلاب خصائص المسرحية الحديثة في بلادهم، وكانت أشهر مسرحية هي "الساحرة" 1957 ألفها "فرانسوا جوزيف أمون"، وكان طالبا من ساح العاج.<sup>1</sup>

وعلى العموم كانت القضايا الأولى التي شغلت هذا الجيل قبل كل شيء هي قضايا التنمية الاجتماعية والإقتصادية، وكذلك التطور العلمي والتقني، وحاولوا اتباع منهج يتسم بالواقعية بعيدا عن كل نظرة عرقية عنصرية ضيقة، أو أقوال فوقية لا تمت إلى الواقع بصلة،<sup>2</sup> بعبارة أخرى حاول الجيل الجديد الاهتمام بالمشاكل الزاھنة التي تعيشها إفريقيا بدلا من الاهتمام بالماضي وبالروح الزنجية.

يقول الباحث "شعبان سليم": "نتيجة شعور الزوج بالكرامة، أدركوا شخصيتهم بقوة وصرحوا دون خشية أو خجل بأنهم آدميون يوازنون غيرهم من العروق البشرية"<sup>3</sup> فحركة الزوجة التي تبنوا أفكارها ومبادئها، كانت البداية الوحيدة التي ذاع صيتها من أجل الرجل الأسود والاعتراف بلونه وعرقه وفكره.

ومع نهاية الاستعمار في معظم الدول الإفريقية، بدأت الحركة بالتلاشي وكأنَّ مهمتها التي أوجدت من أجلها قد انتهت بعد هذه الفترة،<sup>4</sup> فتلاشت الزوجة كظاهرة أدبية في الستينات، وأفسحت المجال لكتابات أخرى للأدباء بمختلف لغاتهم مع فجر الاستقلال.

<sup>1</sup> ينظر: محمد عبد الغني السعودي، قضايا إفريقيا، عالم المعرفة، الكويت، 1980، ص167-168

<sup>2</sup> ينظر: أحمد إبراهيم دياب: إفريقيا بين المفاهيم الحضارية والممارسات العنصرية، مجلة بحوث في دراسات إفريقية نصف سنوية، العدد الرابع، 1989، ص52

<sup>3</sup> نك سبييت: أصول فكرة الزوجة، ص14

<sup>4</sup> ينظر: علوي طه الصافي: هؤلاء مرؤا على جسر التهديدات، رئيس جمهورية وشاعر الزنجة، المجلة الثقافية، العدد53، الاثنين 15 صفر 1425هـ.

## 3. واقع حركة الزوجة ووسائل التعبير عنها:

بدأت حركة الزوج - كما ذكرنا سابقاً - في "نيويورك" عام 1919 تحت اسم "حركة الزوجة النهضوية"، والتي امتدَّت نشاطها إلى العاصمة الفرنسية "باريس"، وهذا من خلال نشر العديد من الروايات و القصائد في "مجلة العالم الأسود" التي أسست عام 1921 من قبل "رنيه مارن"، أين حاولت هذه المجلة إبراز التّاج الفكري للسود، خاصة بعد انضمام العديد من الأسماء كالأديبين الأمريكيين "لانغستون هيوز"، "كاونتي كولن"<sup>1</sup>، وكانت أول وسيلة للتعبير عن هوية السود هي "الجرائد والمجلات"، التي كانت تحثُّ على أن الممارسة الايجابية للزنجية تكمن في التعبير عن كونها تتوافر على مخزون ثقافي وليس فقط على أنها توجُّه سياسي صرف، لتتمكّن من استعطاف البيض، كذلك على أساس تقديمها كحركة إنسانية جادة بناء على قاعدة أنّ كل الأجناس البشرية تنتمي إلى الإنسانية.

ويتجلّى عزم الزوج على تمثيل أنفسهم بأنفسهم في إنشاء عدد من المجلات والجرائد في أمريكا، والتي تكفّلت بإعلاء أصواتهم والتعريف بإنجازاتهم الأدبية والفنية، منها مجلة "الحرية"، وهي أول مجلة زنجية ترى النور سنة 1927 بمدينة نيويورك، حيث تؤكّد على ما تقدم ذكره من ضرورة الوقوف ضدّ الصور البشعة المشينة التي تقدّمها الصحافة الأمريكية الاجتماعية والأدبية عن الزوج بصفة عامة،<sup>2</sup> وكانت هذه المجلة أول منتدى للكثير من الكتابات الخطابية والأدبية من طرف الأمريكان الأفارقة، من شعر ومقالات ومواعظ وخطب ساهمت في خلق مجتمع صغير يتقاسم الاهتمامات والأهداف نفسها.

رغم هيمنة قضية مناهضة الرق، استمرّت الدوريات الأمريكية الإفريقية التي تعزّزت بالعناوين الجديدة في الاهتمام بالأمور الأدبية البحتة، وشملت مايمكن اعتباره نوعاً من الممارسة النقدية في شكل عرض للكتب وإشهار للنشاطات الثقافية ونشر للأشعار مثلاً:

<sup>1</sup> ينظر: نواف مخلوف: طارق علوش: الزوجة، الموسوعة العربية، المجلد 10، ص423

<sup>2</sup> ينظر: خميسي بوغرارة: تاريخ النقد الأدبي الزنجي، ص85-86

أشعار "فرانسيس إيلين" **FRANSIS ILLIN** في مجلتي "المسجل المسيحي"، ورقة فريديريك دوجلس"، أو نشر الروايات في شكل حلقات مثلا: رواية "بلايك ديلايني" في أسبوعية "الأنجلو إفريقي"، وكذلك المساهمة في النقاشات الثقافية الأوسع حول التمثيل الأدبي للأمريكان الأفارقة، حيث أسالت رواية "كوخ العم طوم" ل: "هاربيت بيتشر ستو" **HARRIET BEECHER STOWE** كثيرا من الحبر على صفحات مجلة "ورقة فريديريك دوجلس" من قبل مجموعة من المفكرين.<sup>1</sup>

ثمّ تأسست مجلة الطالب الأسود في باريس عام 1934 على يد الطلاب الثلاثة المذكورين أنفا وهم: "سيزار، سنغور، داماس"، وكان الهدف الأساسي من هذه المجلة هو إحياء الذاكرة الإفريقية وإزاحة الغبار عن التراث الإفريقي الشفوي منه بالخصوص وفضح الجرائم الاستعمارية يقول "سيزار": "ماكان يعنيني هو الهوية الزنجية، أنت السينغالي، أنت الكونغولي، أو أنت الكميروني، مالذي يجمع بينكم؟ المسألة اللغوية لا تهمني، مايهمني هو الهوية وأنا لا أرغب أن أجعل من اللغة الفرنسية نظرية."<sup>2</sup> وقد نجحت الحركة الزنجية من استمالة متقفين كثر وتوّجت سنة 1949 كميلاد فعلي للتّشّور والحضور الإفريقي.

هكذا، أسهمت هذه الجرائد والمجلات في الرفع من مستوى الوعي لدى السود بخصوصية هويتهم ومن ثمّ النهوض للدفاع عنها من أجل التخلّص من عقدة العنصرية التي تذهب إلى حد الاستهانة بأصولهم العرقية، مما نتج أن تحول الطلاب الأفارقة عمّا هو غربي واتجهوا نحو الأصول الزنجية ومنابعها.

إلى جانب نشاط هذه النخبة الأدبية، وضع الطلاب الجامعيون السود في فرنسا منشورا أسموه "الدفاع الشرعي" **"LÉGITIME DÉFENSE"**، أثاروا فيه مشكلة الزواج من جوانب ثلاثة: السياسية، العرقية، والثقافية، وتميّز هذا المنشور بلهجة عنيفة ندّدت بمنطق المستعمر

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق، ص 85

<sup>2</sup> بابكر علي ديومة: قراءات في الأدب الزنجي المكتوب والمترجم إلى اللغة الفرنسية، مجلة أفريكانا الإلكترونية، ت ن: 27 أكتوبر 2016، ت ز: 2017/12/28

الذي يبدأ بالاستعباد الجسدي وينتهي بالاستعباد الفكري وصولاً إلى تقبل المستعبَد بوضعه في أسفل السلم الاجتماعي، وهو وضع يراد دائماً تبريره من قبل المستعمر تاريخياً وبيولوجياً، كما طرح هذا المنشور مشكلة الملونين الذين تجرّدوا من أصولهم وتفاخروا بانتمائهم إلى مجتمع البيض، فتبنّوا لغته وديانته وقيمه وحتّى أحكامه الباطلة بحقهم، وأبرز المنشور مأساة الإنسان الذي يخجل من أصله فيصبح منبوذاً من البيض والسود معاً.<sup>1</sup> كان هذا المنشور بمثابة الشعلة التي أضاءت الفكر الناقد وسط المجتمع الطلابي في باريس ومنه برزت فكرتان نقد النظام الاستعماري ودفاع الزنجي عن ذاته وكرامته.

ومع تزايد حركات التحرر في المستعمرات الآسيوية والإفريقية عقب الحرب العالمية الثانية، تقدم بعض المفكرين الفرنسيين أمثال "سارتر" "SARTER" و"مونييه" "MEUNIER" بمبادرات ثلاث تمنح حركة الزوجة أبعاداً على الصعيد الدولي، فكانت المبادرة الأولى تأسيس "مجلة الإستوائيات" "TROPICQUES" عام 1941 في جزر المارتنيك، بهدف إيصال الفكر الزنجي إلى أمريكا الجنوبية وهايتي وجزر الأنتيل، والثانية كتاب سنغور "ديوان الشعر الزنجي والمدغشقرى الجديد الناطق باللغة الفرنسية" عام 1948، "LANTHOLOGIE DE LA NOUVELLE POÉSIE NÈGRE ET MALGACHE DE LA LANGUE FRANÇAISE" الذي يمكن أن يعدّ ميلاد أدب زنجي وطني، أما المبادرة الثالثة فكانت "مجلة حضور إفريقي" 1947 أسسها "إليون ديوب" "ALIONE DIOP" في أول تجمع عالمي لأهل الفكر، فأصبحت كلمة "الزوجة" رمزا للدفاع عن القضية الزنجية والكلمة المرادفة للحرية، إلا أن هذه الكلمة لم تلقى تجاوباً لدى الشعوب الإفريقية المستقلة، إذ وجد المفكرون حاجزاً بينهم وبين هذه الشعوب التي لم تكن على استعداد لخوض معركة عرقية أخرى، وهكذا بدأت هذه الكلمة تضمحلّ منذ عام 1961،<sup>2</sup> الفترة التي نشر فيها "فرانز

<sup>1</sup> ينظر: غزلان هاشمي: تيار الزوجة والقضاء على فكرة التمركز العرقي، مجلة الألوكة الثقافية، 2012/09/30، ص

<sup>2</sup> ينظر: نواف مخلوف، طارق علوش: الزوجة، ص423

فانون " FRENZ FANON" كتبا بعنوان "المعذبون في الأرض"، تضمن مقالا تحت اسم "حول الثقافة الوطنية"، وجّه فيه نقدا لاذعا للاستعمار الأوروبي الذي قام بتخريب ماضي الدول المستعمرة وحاضرها معا، وهذا بمحاولة تشويه تاريخها، إذ كان ردّ فعل تلك الدول بالعودة إلى ثقافتهم الوطنية واستعادتها، ويضرب "فانون" مثلا بالحركة الإفريقية: "الحركة الزنجية التي لم تكتفِ بالمحلي أو الوطني، وإنما اتجهت كما هو واضح إلى الأصول العرقية لتؤسس عليها هوية ثقافية".<sup>1</sup>

شهد عام 1972 ظهور كتابات مهمة منها مقالة "مونغو بيتي" الإستيلاء على الكامبيرون، هاجم فيها الحكومة وسياستها التي سمحت لفرنسا باستمرار فرض سيطرتها، وهكذا تمخّضت عن الاستقلال خيبة أمل تزايدت مع الأيام وأصبحت كلمة "الزوجة" تراثا من الماضي وسنخور المدافع الوحيد عنها، فقد انقسم الأدباء إلى فئات ثلاث: واحدة وجدت نفسها غريبة عن جوّ الحي اللاتيني في باريس فامتنعت عن الكتابة، وثانية التزمت الصمت نتيجة القمع الذي مارسه السلطة، وأخرى تنقلت في أوروبا وأمريكا باسم الزوجة التي اكتسبت منها صفة الغرابة والطابع الإفريقي.<sup>2</sup>

#### 4. صدى حركة الزوجة وحدودها الجغرافية في إفريقيا

أصبحت هذه الحركة مصدر فخر بالنسبة لكثير من الأفارقة، إذ اعتزوا بلونهم الأسود، وبعرقهم وهويتهم التي كانت منبوذة في المجتمعات، فوصل صدى هذه الحركة إلى معظم الدول الإفريقية نذكر منها:

##### 4.1 السنغال:

هناك عدة عوامل جعلت السنغال تلد أوائل الأدباء الأفريقيين الناطقين باللغة الفرنسية، فقد كانت السنغال بداية تاريخ الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء.

<sup>1</sup> الصادق محمد آدم: قضايا الأدب الإفريقي وتحدياته، ص45

<sup>2</sup> ينظر: نك سبيت: أصول فكرة الزوجة، ص16

مع نهاية الحرب العالمية الأولى ظهرت أربع مدن سنغالية لها حقوق المدن الفرنسية باعتبار سكانها فرنسيين ، فتحسنت الأوضاع وكثرت المدارس والجراند السياسية، وظهرت الأحزاب السياسية التي تجاهد لتمثيل مرشحيها في البرلمان الفرنسي.

وفي عام 1920م ظهر أول عمل أدبي بكل معنى الكلمة وهو رواية " رغبات مالك الثلاث" للمدرس "حمدو مباني جانجة"، تدور هذه الرواية حول الحياة الاجتماعية التي شابها كثير من التغيير مع تغلغل الروى الغربية للحياة. ومن أهم السنغاليين الذين آثروا الحركة هم: سنغور"، "براكو وجوب" **BRACO JOBS**، "دافيد جوب" **DAVID JOBS** ولسنا بحاجة لتكرار دور هؤلاء في تأسيس حركة الزنوجة.<sup>1</sup>

#### 4.2 نيجيريا:

إذا كانت السنغال رائدة الأدب الأفريقي المكتوب بالفرنسية، فإن نيجيريا بوزنها السكاني والثقافي والاقتصادي والتراث الأصيل هي رائدة الأدب الإفريقي المكتوب باللغة الإنجليزية، ففيها ظهرت جريدة أرفيس الأسود، والتي ساهمت في دعم الادب ، فأظهرت وزن نيجيريا الأدبي في فنون الشعر والرواية والدراما.<sup>2</sup>

ومن أشهر أدباء نيجيريا في هذه الفترة : "شينو أشيبي" **CHINO ACHBI**، "إيشلي أمادي" **ASHLEY AMADO**، "فلورا نوبا" **FLORA NUBA**، "دانيس أوسديبي" **DANIS OSUPI**، و"سيبيرين مكيونسي" **SIPIRIN MIOSNSKI**، ومن الذين أسهموا في تحديث الأدب النيجيري في مجال الشعر أو الرواية أو المسرحية هو "وول سوينكا" **WOLE SOYINKA** "1935م ، الذي حاز على جائزة نوبل العالمية في الأدب عام 1986م . وكان من رافضا حركة الزنوجة حيث يرى أن الموروث الثقافي هو من يسهم في بعث الثقافة الإفريقية وليس مفهوم الزنوجة<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الصادق محمد آدم: قضايا الأدب الإفريقي وتحدياته، ص9

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص9

<sup>3</sup> ينظر: محمد الغني السعودي: قضايا إفريقيا، ص174

### 4.3 شرق إفريقيا:

يختلف الوضع في شرق إفريقيا يختلف عنه في غرب إفريقيا وجنوبها، فقد ظهر الأدب على أرضية تتمتع بأدب أصيل مكتوب باللغة السواحلية وبالخط العربي، فظهرت مجلات أحدثت نهضة في التأليف الأدبي عام 1948، أما في الستينات بدأت سلسلة الاستقلالات لدول شرق إفريقيا، وقد أعطت الأحداث التي واكبت حركات التحرر مادة جديدة للأدباء خصبة بالفكر والخيال، فأكدت أهمية اللغات المحلية والقومية.

وأبرز شاعر في شرق إفريقيا هو "أوكوت بيبتيك" "OCUT BIBTIK"، والكاتب الروائي الرائد في شرق إفريقيا هو "جيمس كوكي" "DJEMES COUKI" 1938م، الذي تمرد على كل ما هو غربي أوروبي، فتخلّى عن اسمه المسيحي (جيمس) لأنه لا يناسب ثقافته الإفريقية، وتسمى ب (كوكي واتيكو) تقليداً وتخليداً لثقافة آباءه الكيكو في كينيا.

وتعتبر أعماله الأدبية عالمية، فقد ساهم في تصدير الأدب الإفريقي، عالج في رواياته مشكلات الهوية الثقافية والوحدة الوطنية في كينيا.<sup>1</sup> لكن حركة الزنوجة فإنها شغلت بال أدباء شرق إفريقيا في زمن متأخر من أواخر الستينات عبر الشخصية الإفريقية بسبب الاستعمار الاستيطاني الإنجليزي الذي تعرّضت له هذه المناطق.

### 4.4 السودان:

اختزن الموروث الثقافي غير التخيلي صوراً نمطية انتقاصية حول الإنسان الأسود، فكانت من أبرز المرجعيات والمحرّكات الخفية التي كانت تحرك هذا المتخيل وتحكم طبيعة اختزاله للأمر الأسود هي مرجعية التاريخ والعلاقة القائمة بين العرب والسودان في تاريخ العرب قبل الإسلام وصدوره، والتي كانت علاقة صراعية في أغلبها لم يتخللها لا السلم لا التسامح، هذه الفترة استرقّ فيها الأسود بصورة كبيرة وتمّ وضعه آخر السلم الاجتماعي

<sup>1</sup> ينظر: الصادق محمد آدم: قضايا إفريقيا وتحدياته، ص10

والطبقي، وظهرت المدونات التي نشطت في تمثيل الآخر الأسود وتركيب صور انتقاصية ونمطية تحشر الأسود في دائرة الضلال والفسوق والحيوانية.<sup>1</sup>

كل هذه المرجعيات أدت إلى إدراك بعض الأدباء أهمية التمازج الثقافي والعرقى بين القوميات السودانية المختلفة، فاتجهت مجموعة من الشعراء بعد الاستقلال إلى استلهاهم خلاصة التلاحق العربي الإفريقي الذي نجم عن معركة التراث بين الحضارتين، وذلك لتأصيل هوية الأمة، وقد كانت هذه القضية واضحة البروز في الشعر في فترة الستينات وما تلاها، فاهتم الشعراء بها لأنها تعبر عن الواقع، هذا الواقع الذي يمثل البحث عن الأصالة السودانية التي امتزجت فيها العروبة بالإفريقية،<sup>2</sup> فتفاعلت في أعماقها الثقافة العربية الإسلامية مع الموروثات المحلية، الذي أدى إلى مزيج ثقافي.

نجد كثيراً من الشعراء قد عبروا عن هذا الواقع بحسب مشاكلهم فتشكل ما يسمى بـ"مدرسة الغابة والصحراء" وكان هدف هذا الاتجاه تبيان الأصالة السودانية إن كانت من الغابة الزنجية أم من الصحراء العربية؟؟.

وأول ظهور لهذا الاتجاه على يد الشاعر والناقد "حمزة الملك طمبل"، الذي دعى إلى قومية الأدب السوداني، وصدق التجربة الشعرية.<sup>3</sup>

وفي الثلاثينات ظهر مجموعة من الشعراء جسدوا آلام الشعب ومعاناته، وفي الستينات تتطور هذا المفهوم إلى مرتكز فكري وفلسفي، وكان الرائد في ذلك هو الشاعر "محمد المهدي المجذوب" الذي كسر الحاجز النفسي وتمنى أن يكون زنجياً ساذجاً يعيش البراءة الأولى في أعماق الغابة العذراء.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ينظر: نادر كاظم: تمثلات الآخر، ص 23-25

<sup>2</sup> ينظر: الصادق محمد آدم: قضايا الأدب الإفريقي، ص 44

<sup>3</sup> ينظر: حمزة الملك طمبل، مكتبة عربي، العدد 154، ت ز: 2018/01/02

<sup>4</sup> ينظر: الصادق محمد آدم: قضايا الأدب الإفريقي وتحدياته، ص 44

فالسودان بحكم تكوينه الجغرافي والبشري هو البلد العربي الوحيد الذي استجاب شعراؤه للقضية الأفريقية، ورجعوا إلى المنبع الأصل الذي تكوّنت منه الهوية السودانية.

ومن أبرز شعراء السودان الزوج نجد "محمد الفيتوري" \*، الذي كان يفخر بنفسه ويعتزُّ بإفريقيته وزنوجته، فتعدّ إفريقيا فضاء ومشهدا أساسيا في نصوص الفيتوري الشعرية ومحنة الإنسان الإفريقي وصراعه ضدّ العبودية والاستعمار، وتوقه إلى التحرُّر كان موضوعا أساسيا في قصائده، إذ يحمل في دواوينه رؤية وفكر شاعر عاش وعاصر الكثير من الأحداث والوقائع التي تجعله كفيلا أن يكون شاعرا يُطبَّق ما يؤمن به، حتّى أصبح صوت إفريقيا وشاعرها ومحرض أهلها على فعل الحرية مستحضرا هموم عصور خلت:

جبهة العبد ونعل السيّد      وأنين الأسود المضطهد<sup>1</sup>

كان "الفيتوري" يمثّل اختلافا تفصيليا للإقليم الإفريقي وتفرّده عن غيره فوقف في وجه الحياة زاهدا من كل شيء ثائرا على كل شيء وسنفضّ في أعماله أكثر في الفصل الثاني من البحث.

## 5. قضايا وأسئلة أدب الزوجة:

طبقا للنظام التراثي ونظرية التّمرّك العرقي للشعوب، ثمة حد فاصل بين نمطين من بني الإنسان: نمط دوني ومنحطٌ ووضع لا معنى لحياته، لأن تلك الحياة فعل غير تاريخي، ونمط متفوّق وذكي ورفيع وسامٍ وهذا الأخير ينبغي أن ينسب إليه الفضل في إعلان ولادة التاريخ الإنساني، ومن هنا أصبحت فكرة التفاوت فلسفة لها بعد اجتماعي وسلوكي، أدّت إلى انقسام عميق في الفكر الإنساني، فثمة عرق مُنح التّفوق والرفعة والسمو، واحتكر الحقيقة بكل أبعادها، وثمة عرق اختزل إلى الحضيض والدونية، واستبعد طويلا إلى أن حولته إيديولوجيا التفاوت إلى نمط بشري يشعر بالعجز، وفقدان المبادرة، فهذه الإيديولوجيا

\* هو الشاعر محمد مفتاح الفيتوري، يعتبر أهم صوت زنجي في الثقافة العربية.

<sup>1</sup> شاعر إفريقيا السوداني محمد مفتاح الفيتوري، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد الرابع، أبريل 2013، ص1

كرّست فكراً تربوياً واجتماعياً وسياسياً اختزل هذا العرق إلى مرتبة دونية، تجعله يعيش دائماً بإحساس المديونية الأخلاقية والثقافية والدينية للآخر، أدّى إلى إفراغ الأنساق الثقافية من مضامينها وغزوها بمضامين أنتجتها ظروف تاريخية مختلفة.<sup>1</sup>

ونجد العرق الزنجي ضمن الأعراق التي وصفت بالدونية، فما كان على الرجل الزنجي إلا أن يثبت ذاته، عن طريق الأدب والتعبير عن قضاياها ونظراته للعالم من خلال أعينه، فكانت كتاباته صرخة متألمة ضدّ الظلم، ومطالبته ملحة من طرف عرق مضطهد بحقوقه الفطرية، فرغم التحرر المزعوم للعبيد إلا أن الزنجي مازال مقيداً مغلولاً ضمن مجموعة من المشاكل والقضايا:

### (1) العنصرية والتفاوت العرقي الثقافي:

يشير "العنصر" إلى التصنيف الفئوي السلبي للناس، "العنصرية أكثر توجّهاً نحو تصنيف الهم"،<sup>2</sup> فيمكن أن ينطوي هذا على أن العنصر مصطلح سلبي للإقصاء، فقامت عملية الإقصاء هذه إلى اعتبار العنصرية ظاهرة "طبيعية"<sup>3</sup>، وإن كانت شيئاً مزعجاً على حدّ تعبير "توني موريسون"،\*، في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية، على غرار العالم العربي الذي تعتبر العنصرية فيه أقلّ مقارنة مع العالم الغربي الرأسمالي، إلا أن النظرة إلى الأسود متأصلة منذ تاريخ التقسيم الاجتماعي للعمل (عبيد)، فأصبحت ظاهرة العبيد ضرورة اقتصادية اجتماعية يحميها قانون الملكية ومجتمع الأبقان.

ارتبطت العنصرية باللون الأسود، لكن استمرار هذه الحالة وعبورها اللغات والأنساق الثقافية، جعل من هذه الفضيحة الانسانية وصمة عار في التاريخ الإنساني، فلقد عانت

<sup>1</sup> ينظر: عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزية الثقافية، ص 81-83

<sup>2</sup> توماس هايلاند اريسكن: العرقية والقومية، وجهات نظر أنثروبولوجية، تر: لاهاي عبد المحسن، سلسلة عالم المعرفة،

الكويت، أكتوبر 2012، ص 47

<sup>3</sup> توني موريسون: اللّهُ في العتمة، البياض والمخيّلة الأدبية، ص 4

\* توني موريسون: كاتبة أمريكية زنجية، فازت بجائزة نوبل في الأدب عام 1939 عن مجمل أعمالها المدافعة عن العرق الأسود الزنجي.

الدول الإفريقية وطأة الاستعمار الغربي الذي كان يشل دكتاتورية مقبلة، فرضت ذاتها بالقوة، وأن سعي الآلة الغربية عسكريا وفكريا لا تسمح بوجود هويات في اللحمة الاجتماعية الإفريقية، والعمل على محو ارتباطها بثقافتها المتعددة على وفق مفهوم صراع الحضارات بشكل غياب الآخر وحضور الأنا المتضخمة للإنسان الغربي،<sup>1</sup> فهذا الأخير هو سيد أبيض ومتطور وحضاري ومهيمن، أما الإفريقي فهو تابع ومتخلف وغير حضاري وضعيف، وفق هذه الثنائية ضاع الكثير من إنسانية الإفريقي، لأنه وجد نفسه إزاء أمر مفروض عليه.

بيد أن الجانب الآخر (الزنجي)، فضل القلم الأدبي كطريقة للرد، وهذا الرد كان وليد واقع متأزم ومعاناة كبيرة، فوجد الزنجي المفكر الأديب والفنان أن الآداب والفنون من الممكن أن تكون رسالة الانسانية إلى الآخر، بكل بقاع الأرض ونشر أفكاره وتوثيق تاريخه النضالي، لذلك وجد في الزوجة حاضنة لرسالته الانسانية.

حيث أن السود بالكاد يجسّدون أي قيمة بالنسبة لمخيلة الكتّاب البيض، فحضور الأسود في أعمالهم يتخذ كصورة مواضيع لفورة غضب ظرفية، أو طابع اللون المحلي، فحاول الأدباء السود محو هذه الصورة النمطية عن الإنسان الزنجي، فتورط أدب البيض في فبركة العنصرية، ودور الأدب في تفجير هذه الأخيرة.<sup>2</sup>

وقد تبلور الاعتقاد المتزايد الجاهر بقيمة وتميز الأدب الزنجي في مؤلف "دوبويس" "عقول سوداء"، الذي يتمثل في مشكلة اللون التي تخفي وراءها مشكلات العرق والميز والظلم، ف"دوبويس" يرى بأن هنالك حجابا فاصلا يمنع السود من دخول عالم البيض، وهذا الحجاب هو التعصب العرقي والتفرقة العنصرية، ويبين المفارقة المتمثلة في حرمان السود من القراءة والكتابة، وحتى تعلم أو تبني الحضارة البيضاء أو الدخول فيها من جهة،

<sup>1</sup> ينظر: عبد الله ابراهيم: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزية الثقافية، ص 84

<sup>2</sup> بتصرف: توني موريسون: اللهو في العنمة، ص 57

وأتاهمهم من طرف البيض بالتدني الفكري والخلقي وعدم القدرة على الإبداع أوحى التفكير من جهة أخرى.<sup>1</sup>

ونلمس أيضا نبرة متميزة في أعمال الأمريكي "أرنست غاينز" "ARNEST GAINES"، حيث يتجلى موقفه في نقده اللاذع للميز العنصري وإصراره الشديد على ضرورة التغيير الاجتماعي، فهو يصور أشخاصا عاديين مزودين بإمكانات بطولية لكنهم أيضا مترسّخون في الثقافة الشعبية، وفي التقاليد الشفوية،<sup>2</sup> كل هذه العوامل ساعدت المجتمع الزنجي على الصمود، والاستمرار في وجه الظلم والرق والميز العنصري.

تعرض الروائية الأمريكية الإفريقية "توني موريسون" لبعض المظاهر المأساوية للحياة الزنجية، كالفقر وسفاح القربى والاعتصاب، فتبنّت روايتها "العين أشد زرقة" شعار "الأسود الجميل"،<sup>3</sup> فلقد عكست أعمالها قوة الرؤية وشعرية اللغة ونظرتها للعالم وإدراكها العميق لدور اللغة في تشكيل الواقع البشري، مع استعمالها للتقاليد الكتابية والشفوية الزنجية.

## (2) العودة إلى الأصول (التراث والفلكلور الزنجي):

اتّسمت القارة الإفريقية بخصوصيتها وإرثها الحضاري المتفرد بعدد كبير من القيم والتقاليد والأنظمة الفكرية والثقافية التي فرضتها طبيعة البيئة الاجتماعية الحياتية ونظامها القبلي للمجتمعات السكانية في القارة السوداء، والتي تعرضت لعدة غزوات فكرية وأدبية أوروبية حاولت تغيير وطمس مرتكزات الملامح الثقافية والفكرية لتلك الحضارة المتأصلة فكريا لدى الشعوب الإفريقية التي عاشت متمسكة بثقافتها وطابعها الحضاري المزدهر،<sup>4</sup> الأمر الذي مهّد إلى ظهور حركات فكرية والثقافية على يد عدد من المفكرين والأدباء والكتاب

<sup>1</sup> ينظر: لخميسي بوغرارة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص 97

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 61

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 64

<sup>4</sup> ينظر: حميد علي حسون الزبيدي وآخرون: الزنوجة وتمثلاتها في النص المسرحي الأمريكي، جامعة بابل، كلية الفنون

الجميلة، بغداد، 2012 ص 3

الذين تولوا مسؤولية المحافظة والتصدي لكل أشكال الغزو الحضاري الأوربي عبر كتاباتهم ومؤلفاتهم ونتائجهم الفنية، للمحافظة والتمسك بكل مقومات وأسس الحضارة الإفريقية، كونها وسائل للخطاب الفكري الساعي إلى نشر وتدعيم وإبراز الهوية الثقافية للمجتمع الإفريقي والحفاظ على الهوية الزنجية لاسيما بعد محاولة تهجينها وتشتيتها بهويات أوروبية.

إن الهوية الثقافية تشكل الفضاء الجامع لثقافات المجتمع، "فالموضة أو الملابس والطعام والدين والعادات الاجتماعية والاحتفالات والأعياد والأغاني والطقوس، لا يمكن إزاحتها لأن الهوية يتمسك بها الفرد أينما حلّ وأينما ذهب"<sup>1</sup>، لذلك نجد أن الزوجة نشأت في أماكن عدة من العالم في القرن الأوربي وفي أمريكا، حيث كان جلُّ أهدافها هو تفعيل ثقافة الزنجي المحليّة اليومية باتجاه مواقفه من ذاته ومن مجتمعه ومن الاحتلال الغربي<sup>2</sup>، ولقد ارتبطت الزوجة بتيار ما بعد الكولونيالية، هذا المفهوم الذي ارتبط بكتاب "ادوارد سعيد" المعنون بـ"الاستشراق"، الذي يشير فيه إلى أن ليس هنالك من براعة في النشاط الثقافي والعقلي الوثيق الصلة بتراتبية السلطة، وهو ما يكشف عن التواطؤ بين كل أشكال التمثلات الأدبية للسلطة الاستعمارية تهدف إلى تصحيح النظرة الاستعلائية التي كان ينظر منها المستعمر إلى الشعوب المستعمرة<sup>3</sup>، وبذلك فقد كانت الزوجة كرد فعل يهتم بثقافة الذات الزنجية وبالشخصية الزنجية، واتّسع مدى مفهومها.

اقتنع دعاة الزوجة أن الأدب الجديد ستكون أصوله نابعة من الحساسية الزنجية الخالصة للإحساس بالإيقاع والأسطورة والطبيعة والحياة والعاطفة، وتضامن روح الجماعة، لذلك فقد عمدوا إلى تمجيد ماضي إفريقيا والحنين إلى الجمال والانسجام في المجتمع

<sup>1</sup> ينظر: آدم كوير: التفسير الأنثروبولوجي، تر: تراجي فتحي، عالم المعرفة، العدد 349، الكويت، 2008، ص 232

<sup>2</sup> ينظر: سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي الأدبي، الدار البيضاء، 2002، ط 3، ص 16

<sup>3</sup> ينظر: عامر حامد الربيعي: الهوية الثقافية لما بعد الكولونيالية، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ط 1،

الإفريقي، فالبرغم من أن الزوجة ولدت في مهاد أوربي أمريكي، إلا أنها إفريقية قلبا وقالبا وتعبّر عن الرّوح الإفريقية وعن تراثها وحاضره.

لجأ الشعراء والكتاب إلى التراث الزنجي محاولين بناء تصوّر زنجي متميّز بالاعتماد على الميثولوجيا السوداء، فبرز شعراء في أمريكا قاموا باستغلال الفلكلور الزنجي وإمكانات اللهجة الزنجية في أغاني البلوز والجاز، والأغاني الروحية والأمثلة الشعبية والأساطير، وعلى رأسهم "جايسمن والدن جونسون" الذي دعى إلى ضرورة الاهتمام إلى اللهجة الزنجية الحقيقية كما تتجلى في أواسط الشعب الأسود، وقد حاول أن يبيّن الطريق قدما في مجموعته الشعرية "مترددات الإله" وخاصة فيما يتعلّق باستعمال الموعظة الشعبية السوداء.<sup>1</sup>

نجد أيضا الروائية "توني موريسون"، التي كانت أعمالها عبارة عن اجتماع الإرث الإفريقي الفكري والمنطلقات الجديدة لما بعد الكولونيالية، خاصة في روايتها "أغنية سليمان" التي تجمع بين الفلكلور الأمريكي الإفريقي والتاريخ والتقاليد الأدبية.

حاربت الزوجة شعريا كلّ ما من شأنه أن يحطّ من الشخصية الإفريقية عبر إنتاج فكري جمالي، وهو ما انتقل إلى المسرح ويتجلى ذلك في مسرحية "بيانو" ل"أوغست ولسن" "AUGUSTE WILSON"، الذي يدور موضوعها حول صراع بين أسرتين حول هذه الآلة الموسيقية القديمة المزينة بنقوش إفريقية، وهذا البيانو يشير إلى العرق الحضاري القادم من الأجواء الإفريقية، والكلّ يريد أن ينسب هذا البيانو له،<sup>2</sup> ما يعني تشبّثهم بهويتهم الثقافية الإفريقية.

### (3) المطالبة بالحرية والمساواة:

ارتبطت الزوجة كفكر وأدب وفن بالروح الزنجية الإفريقية وهي تحاول قبول الآخر واستثمار تنوع ثقافته وتلاقحها مع ثقافة الأنا الزنجية، وذلك من خلال رغبة المفكر الزنجي

<sup>1</sup> ينظر: خميسي بوغرة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص132

<sup>2</sup> ينظر: أنيس فهمي: مسرح الزواج في أمريكا، مجلة العربي، العدد 530، وزارة الإعلام، الكويت، 2033، ص37-38

بتطور أدبه ولغته التعبيرية بالإفادة من الآداب الآخر وفنونه، وليس بالتهجين القسري الخاضع لتغييب الهوية السوداء وإحلال هوية الأبيض المهيمن،<sup>1</sup> لذلك كان الصراع القيمي للهويات مجالا هائلا لمفكري الزوجة لينهلوا من الأفكار والمواضيع، وذلك بترحيل ثقافتهم واستقبال ثقافة الآخر ورفض مبدأ الهيمنة والاستغلال.

تلاقحت أفكار أدب الزوجة مع ما هو خارج عن الشعر والمسرح، أي القصة والرواية والأجناس الأدبية والفنية الأخرى،<sup>2</sup> وكانت أهداف الزوج الأدبية والفنية كافة متوحدة مع بعضها البعض، متمثلة في المطالبة بالحرية وحق الحياة نبذ الاحتلال واسترداد الهوية الوطنية والخلاص من التهميش والإقصاء.

ونجد بأن قضية المطالبة بالحرية والمساواة متجلية في كثير من الأعمال الأدبية، ومن بينها كتاب "الحرية" لـ "سنغور" الذي جاء في خمسة مجلدات، حيث رفض فيها الأعراق بغير نقص علمي وركب بنية من روح سوداء خالدة، وأدى من خلال أشعاره الصفة الأساس "الخاصة بالروح السوداء"، وواصل تطوير مفهومه الخاص بـ "الشخصية الإفريقية"، وهذا واضح في نص يقول فيه: "الزوجة هي إنسانية القرن العشرين"<sup>3</sup>، حيث استعمل في هذا النص خطابه المفصلي بخصوص الاقرار المباشر بالسود كظاهرة.

كما نجد النص الذي وضعه الأمريكي "وليام والنز براون" تحت عنوان "الرجل الأسود، تاريخه وعبقريته وانجازاته"، حاملا لقضية الدفاع عن سمعة الزنجي وإمكانيته الفكرية والفنية، فوجّه براون نصّ كتابه إلى دعاة الحرية والمساواة للزنجي،<sup>4</sup> وتبنّى فيه تمييزا مرهفا بين الحرية والمساواة، حيث يطالب بالحرية كحق إنساني أساسي أو فطرة طبيعية في الإنسان،

<sup>1</sup> ينظر عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، إشكالية التكوين والتمركز حول الذات، ص17

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص17

<sup>3</sup> شريل داغر: ترجمة أشعار سنغور، سلسلة إبداعات عالمية، الكويت، 2002، ص254

<sup>4</sup> خميسي بوغرارة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص88

أما المساواة فيمكن اكتسابها والظفر بها وتبقى رهينة مجهود فكري، وعلى الزوجي أن يقوم به ليلتحق بالركب وهو أمر أكيد في نظر المؤلف.<sup>1</sup>

كما يرى "دوبويس" أن وظيفة الفنان الزوجي ودوره في النضال من أجل الجمال والحقيقة والخير، إذ إن النضال من أجل الحرية والمساواة والتعليم وحق الانتخاب وغيرها من الحقوق السياسية والمدنية، كلّها نضالات تنضوي تحت عنوان الجمال والحقيقة، حيث أنه يرى ليس من الممكن أن يترك الكاتب الزوج المجال مفتوحاً أمام البيض لتصويرهم كيف ما شاءوا، بل يحثُّ الفنانين الزوج على دخول معركة التصوير والتمثيل لأنفسهم بأنفسهم.<sup>2</sup>

وكان للزوجة مجموعة من الأهداف ومنها الوصول إلى الحرية ليس للذكر فحسب، وإنما لكلا الجنسين، فالأنثى لا بد من شمولها بالحرية أيضاً، فالإنسان الإفريقي حاله حال كل المكونات الانسانية البشرية في أوروبا وأمريكا وكلّ قارات العالم، لا بد أن ينال ما يطمح إليه في العيش الانساني وهذا نابع من انطلاق الزوجة في أجواء الحرية الأوربية، ومن الأعمال الأدبية التي اهتمت بحرية المرأة نجد الروائية الأمريكية "بامبارا" "BAMBARA" في روايتها "أكلة الملح"، حيث تصرُّ على العلاقة الحميمة المعقّدة بين الالتزام الاجتماعي والإنتاج الفني، وبين النضال من أجل الحقوق المدنية ونضال النساء من أجل الحرية، كما اهتمت بتقديم صور عن حياة النساء في السبعينات في مختارات حققتها وشاركت فيها تحت عنوان "المرأة السوداء"،<sup>3</sup> وإلى جانب "بامبارا" نجد أيضاً الروائية "أليكس ووكر" "ALICE WALKER" التي تركز من زاوية نسائية على حركة الحقوق المدنية ونضالها من أجل لتغيير الاجتماعي.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق، ص 89

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 107

<sup>3</sup> ينظر: أنيس فهمي: مسرح الزوج في أمريكا، ص 37-38

<sup>4</sup> ينظر: خميسي بوغرة: تاريخ النقد الأدبي الأمريكي، ص 65-67

فما نلاحظه، هيمنة العنصر النسوي على مجريات الأدب الإفريقي في التعبير عن مختلف القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية والتاريخية، وعلى رأسها قضية حرية المرأة السوداء.

#### (4) العرقية:

اهتم الأدباء والكتاب والفنانون المدافعون عن قضية الزوجة بالقضية العرقية، التي يقصد بها في الأدب "دراسة الأعراق الوراثية والجينية"<sup>1</sup>، بمعنى أن هذه النظرية تدافع عن الأقليات المهمشة عرقيا ولونيا، كالحركة الزنجية التي تدافع عن الإنسان الأسود ضد هيمنة الرجل الأبيض وغطرسته، فالعرقية ضد التغريب والإقصاء والنبذ والكرهية والعدوان والتمييز اللوني والعرقى.

ارتبطت النظرية العرقية تاريخيا بخطاب ما بعد الاستعمار، لأنه يكشف التفاوت اللوني والعرقى والحضاري والإثني بين عالم الغرب والعالم الثالث، وتدافع النظرية العرقية عن الكتابة السوداء التي استهدفت تقويض الميثولوجيا البيضاء<sup>2</sup>.

ومن رواد النظرية العرقية في مجال الأدب والنقد نجد "هنري لويس غيتس جونيور" **HENRY LOUIS GATES JUNIOUR**، الذي رفض في مقاله "العرق والكتابة والاختلاف" أن يدرس العرق الأسود من منظور نقدي أبيض، نظرا لغياب العلمية والموضوعية في ذلك، وفي هذا الصدد يقول "دافيد كارتر" **DAVID CARTER**: "أعرب "هنري لويس غيتس جونيور" عن اعتقاده أنه من غير الكافي تطبيق الفئات النقدية المتقدمة فيما يتعلق بأدب الغرب الأبيض على أدب المجتمعات السود... علينا أن نلتفت إلى تقليد السود نفسه لتطوير

<sup>1</sup> توماس هايلاند إريسكن: العرقية والقومية، ص12

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص14

نظريت النقد المتأصلة في ثقافتنا<sup>1</sup>، ويرفض المعارضات الثنائية "أبيض"، "أسود" فيقول: "علينا جميعاً أن نتجاوز ظروف تصوّراتنا المحددة عرقياً"<sup>2</sup>.

ولنا أن نستدل برواية "قوى متناحرة" للروائية الأمريكية "بولين هوبكنز" PAULINE HOPKINS التي تشير فيها إلى أن العرق الأسود لديه من المفكرين والمؤرخين ممن استطاعوا أن يشدوا انتباه الأمة، والتي ساهمت في تبيان الطريق أمام الزوج في النهوض بالعرق الأسود، فساهمت في تأسيس المظهر السياسي للكتابة الزنجية.<sup>3</sup> ويرى "فانون" أن التقسيم الكولونيالي سببه العرق، وهذا ما يوضحه في رائعته "المعذبون في الأرض" حيث يقول: "إنك تجد بوضوح أن ما يقسم العالم يبدأ بحقيقة الانتماء أو عدم الانتماء لعرق أو جنس ما"<sup>4</sup>، فيعتبر فانون عنصر العرق هو المحرك الأساسي والمحوري لطبيعة العلاقة المستعمر والمستعمر.

فنخلص إلى أن نظرية العرقية تتضمن في طياتها التمايزات اللونية والعرقية والإثنية، قصد تبيان جدلية العرق المتفوق والعرق المتخلف، وفضح الإنسان الغربي الذي يدّعي التفوق واحتكاره للعلم والمعرفة والتقنية والسلطة وامتلاك وسائل الانتاج ورأس المال.

## (5) العبودية والرق:

من المعروف أن معظم السود في أوروبا وفي أمريكا ينحدرون من جذور إفريقية، حيث أنهم أخذوا عبيداً، فتميّز تاريخ السود بصراعاتهم المريرة في سبيل الحصول على حقوقهم المدنية، ففرضت قوانين تقمع السود وتؤبد عبودية السود وتوطد طبقة المجتمع وتقسيمه إلى سادة وعبيد، فقام السود بنشاطات معادية للعبودية، وطالبوا بسن تشريعات تمنحهم الحرية،

<sup>1</sup> ديفيد كارتر: النظرية الأدبية، تر: باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، سوريا، 2010، ط1، ص143

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص143

<sup>3</sup> ينظر: خميسي بوغرة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص92

<sup>4</sup> FRANZ FANON: LES ANNÉS DE TERRE, ÉDITION LA DÉCONVERTE/POCHE, PARIS 2002 P6

نقلا عن: دراسات ما بعد الكولونيالية من منظور أبرز أقطابها، مجلة إشكالات، العدد 9، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي، تمنراست، الجزائر، 2016.

فنادوا بالقضاء الفوري على هذه العبودية المقيتة التي تمتن كرامة الإنسان،<sup>1</sup> وكانت وسيلتهم في ثورتهم هذه النصوص الأدبية والفنية، حيث ولد الأدب الزنجي في أحضان الكتابات المناهضة للرق والرامية إلى القضاء على مؤسسة العبودية.

فكان لهم إصرار منقطع النظير على دحض الإيديولوجيات العنصرية المهيمنة القائلة بتدني السود الفكري والأخلاقي، والتي ساهمت في تكريس فكرة استعبادهم وجعلتها واجبا إنسانيا يقع على عاتق البيض، طالما أنها الطريقة الوحيدة لضم هؤلاء "المتوحشين" إلى حضيرة الحضارة الإنسانية الغربية، والإصرار على أحقية الأفارقة بتمثيل أنفسهم بأنفسهم، وعلى أهمية دورهم الأساسي والضروري في قراءة أوضاعهم،<sup>2</sup> فكان سبيلهم في هذا الإصدار، التعريف بالمواهد الفنية التي يتمتع بها الأفارقة، والتي عبروا عنها رغم أنف مستعبيهم.

فوجد "فرانز فانون" الذي ركّز على خطورة خاصية السوداء والتشويه في أعماله، رافضا لتلك الكولونيالية التي تحط من قدر الإنسان، وهكذا يقول: "بشرة سوداء، أقتعة بيضاء"، والشعوب المستعمرة بأنهم ليسو مجرد أشخاص تم استغلالهم، وإنما أشخاص "نشأت في روحهم عقدة نقص بسبب موت أصالتها الثقافية والمحلية"،<sup>3</sup> فيرصد "فانون" إلى أعماق المستعمر لتلك الآثار النفسية التي خلفتها الهيمنة الكولونيالية على هذه الشعوب، هذه الهيمنة تتجاوز وبكثير حدود الاستلاب المادي لتصل إلى الاستلاب الكيانى، وهذا ما يتفق معه "ايميه سيزار" في كتابه "خطاب الكولونيالية"، حيث يرى "سيزير" أن الكولونيالية لا تستغل الذات المستعمرة فحسب، بل تحط من قيمتها وتجردها من إنسانيتها، ويفسر "سيزير" ذلك

<sup>1</sup> وجه أمريكا الأسود.. وجه أمريكا الجميل: مختارات من الشعر الأفروأمريكي، اشراف: جابر عصفور، تر: أحمد الشافعي، مراجعة: جمال الجزيري، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، العدد 823، 2005، ط1، ص13-15

<sup>2</sup> ينظر: خميسي بوغرة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص84

<sup>3</sup> نقلًا عن: FRANZ FANON: PEAU NOIRE MASQUE BLANCS, EDITION SEUIL, 1952, p46

دراسات ما بعد الكولونيالية من منظور أبرز أقطابها، مجلة إشكالات، العدد 9، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي، تمنراست، الجزائر، 2016.

بمعادلته الشهيرة "الكلونيالية تساوي التشيؤ" (**thignification**)<sup>1</sup>، أي تحويل الذات إلى أشياء، ولعلّ هذا التعبير الذي جاء به "سيزير" يختزل وفي كلمة واحدة آثار كل الممارسات الكلونيالية اللانسانية، التي يخلفها المستعمر في الشعوب التي يحكم سيطرته عليها ليجعلها تستحيل إلى مجرد "شيء" فقط.

ومن الأعمال الأدبية والفنية التي عبرت عن رفضها للعبودية رواية "محبوبة" **belved** للروائية "توني موريسون"، التي تصوّرها في أعمالها هذا حياة الأمة الزنجية الحقيقية، وتركز الكاتبة على دور التاريخ والذاكرة الفردية والثقافية في تشكيل العلاقات بين الأفراد مستعملة قصة المرأة التي تفضل قتل ابنتها بيدها على أن تراها تعود إلى حظيرة الرق والعبودية، وتبين الرواية مدى إصرار الأم الزنجية وتضحيتها من أجل إخراج ذريتها من دائرة العبودية كما تبين تجربة العبودية المريرة مازالت تؤثر على أفكار السود وأفعالهم رغم زوال مؤسسة الرق نفسها منذ زمن طويل.<sup>2</sup>

إلى جانب هذا، فقد كتبت "توني موريسون" كتابها "اللهو في العتمة" الذي يتحدث عن كيفية صناعة إفريقيا وصناعة ثقافة زنجية من خلال غرب أمريكي يحصر الأفارقة في زنجيتهم وحياتهم المغلقة، فهي تقدم الشخصية الزنجية السوداء الراضة للوصايا وتطالب بحرية المرأة وكيانها الاجتماعي، إلى جانب الرجل إذ لا فروق بيولوجية أو تهميش.<sup>3</sup>

مما سبق، نستخلص بأن جل الأعمال الأدبية رفضت سياسة العبودية والاسترقاق للجنس الأسود، والتي عبّرت عنها كتابة لما لها الأثر الكبير في السيطرة على عقول القراء.

<sup>1</sup> أنيا لومبا: الكلونيالية وما بعدها، تر: باسل المسالة، دار التكوين، دمشق، سوريا، 2013، ط1، ص43

<sup>2</sup> ينظر: خميسي بوغرارة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص65

<sup>3</sup> علي عبد الأمير صالح: نساء في الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001، ط1، ص50

## (6) الهوية:

تطرقنا لمختلف الأعمال الأدبية التي عالجت قضايا الزوجة، والتي حاولت بكل جهدها رفض سيطرة الرجل الأبيض، فكانت قضية الهوية من أبرز القضايا المعبرة عن هذا الرفض، ومن هنا فالهوية هي "الإطار التعريفي الذي يتمظهر به الفرد وتبرز عبره الجماعة وتتحدد ملامحها وأبعادها"، أي هي الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية وهي ليست ثابتة بل تتحول تبعا لتحول الواقع، كما أنها عبارة عن سمات تميز شخصا عن غيره أو مجموعة عن غيرها، وهي الخصوصية والذاتية أو لغة الفرد وثقافته وعقيدته، يقول "أدونيس"، في تعريفه للهوية، "لا تأتي الهوية حصرا من الداخل ولا من الخارج وحده إنما في هذا التفاعل المتحرك أبدا، لهذا لا يمكن القول أن الهوية ليست ما يثبت بل فيما يتغير، أو الهوية معنى لا صورة له، أو هي معنى في صورة متحركة دائما".<sup>1</sup>

انتشر مصطلح الهوية في الدراسات الاجتماعية مع نهاية الستينات من القرن الـ20، حيث شهدت هذه الفترة تأكيد الأقلية الإفريقية الأمريكية خصوصا مع ظهور "الفهود السوداء"، سنة 1966، فكانت التجربة التي قام بها الأفرو أمريكيون لـ"العرق" كتصنيف مفروض وفي الوقت نفسه كتعريف ذاتي، ليس فقط ضمن حدودها الذاتية، بل أيضا باعتبارها نمودجا لمطالبات هوياتية من كل نوع، من تلك التي تخص الجنس أو التوجه الجنسي حتى تلك المؤسسة على "الانتماء الإثني" أو "العرق".<sup>2</sup>

فقد تميّز الأدب الإفريقي بتعبيره المستمر عن آثار الاستعمار، والآلام المتصاعدة، والمعاملات الموجهة للفرقة العنصرية والذاتية ومشكلة اللون والبحث عن الهوية، فظهر الأدب الزنجي لإبراز الهوية الإفريقية والإبداع الأسود وتراثه، حضارته وخصوصيته،

<sup>1</sup> أدونيس: الثابت والمتحول، دار الساقي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2011، ج1، ص114

<sup>2</sup> خميسي بوغرة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص21

والاعتزاز بالانتماء لإفريقيا،<sup>1</sup> فاستمد كتاب إفريقيا أدبهم الجديد من التراث الشعبي المشبع بالثقافة الإفريقية.

جهل الآخر حقيقة الإفريقي واعتبره العبد الخادم، وأنه بعقلية محدودة وهذه النظرة الظالمة لهذا الإفريقي، أثرت على الشخصية الزنجية، وخاصة المثقفين منهم، ولم يتوانوا في الدفاع عن خصوصيتهم السوداء، وإعادة الاعتبار لها، وتمسكوا بثقتهم في سوادهم وأرضهم وأجدادهم، فكانت نصوصهم وثيقة تحمل في طياتها هوية وحرية الزنج، من خلال الكتابة التي هي فعل ووجود كينونة وهوية،<sup>2</sup> فكانت أفكارهم تهدف إلى الوقوف بوجه الآخر من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية الزنجية.

ونجد "سنغور" باعتباره أبو الزوجة، قد دافع عن القضية الزنجية وناضل لإعادة الاعتبار لبني بشرته، وأن الإنسان الأسود كغيره من البشر، له أفكار وإبداعات شخصية ثابتة،<sup>3</sup> وأثبت الهوية السوداء بدفاعه عن القضية الزنجية من خلال شعره وسياسته معاً.

فكتب قصيدة "إلى أخي الأبيض العزيز" رداً على اتهامه بالتلون وعدم انتماء الرجل الأسود إلى مجمع البشرية، وهي ثبت الهوية، وضد العنصرية، والتمييز اللوني، فأثبت هويته من خلال التغني بلونه الأسود، وافتخاره بثباته وعدم تبدله، عكس الآخر الذي لا يملك بطاقة هوية محددة، بل بيدّل الألوان ويتقمّص الشخصيات، ويخفي هويته الحقيقية.

كما طرقت قضية الهوية باب الرواية فنجدها متجلية في رواية "رضيع القار" ل: توني موريسون، حيث تمحورت هذه الرواية حول أزمة الهوية عند البطلة وموقفها المتأزم تجاه

<sup>1</sup> ينظر: علي شلش: الأدب الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993، ص114

<sup>2</sup> ينظر: يان فانسينيا: المأثورات الشفاهية، تر: أحمد مرسى، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1990، ط2، ص224-225

<sup>3</sup> ينظر: دريس بوخاري: ألوان الدب الأسود أنطولوجيا عربية عن الأدب الإفريقي، منشورات جمعية البيت للثقافة والفنون،

الجزائر، ص311

تاريخها وثقافتها، لأنها ترعرعت وسط عائلة بيضاء ميسورة، بالإضافة إلى اهتمامات أخرى كالأمومة ودور السلف والأجداد وجشانية المرأة الزنجية.<sup>1</sup>

مثّلت هذه الأعمال الأدبية ثورة صارخة لإفهام العالم أن هذا الأسود يمتلك هو الآخر هوية سوداء ضاربة في جذور التاريخ، ولا يمكن للآخر إلغائها أو إقصاءها، بل الاعتراف بها، ووضعها مع الهوية الأخرى جنباً إلى جنب. وبذلك فإن "الزنوجة" أضفت الكثير على الحياة الفكرية والاجتماعية والأدبية والفنية، بكونها انطلقت أساساً من روح الزنجي ومن الثقافة الزنجية، وإن كانت قد ولدت في مهاد أوروبي، إلا أنها إفريقية قلباً وقالبا، وتعبّر عن روح الإفريقي وعن التراث وحاضر إفريقيا بكل ثقافات المتنوعة دينياً وعرقياً وأنثروبولوجياً وسياسياً واقتصادياً.

<sup>1</sup> خميسي بوغرة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، ص 65

# الفصل الثاني:

## الزوجة: الثقافة، اللون، والخطاب الشعري

1. الإلتواء العرقي/ اللاتني والخطاب الشعري:
2. العناصر الموضوعاتية للثالث الإفريقي:
3. العناصر الأسلوبية والخطابية للثالث الإفريقي.

## الفصل الثاني: الزوجة: الثقافة، اللون، والخطاب الشعري

### 1. الإنتماء العرقي/ الإثني والخطاب الشعري:

#### 1.1 خطاب الزوجة عند "الفيتوري":

كان الشعر منذ القدم وسيلة من الوسائل التي حاول الإنسان من خلالها إعادة توازنه النفسي، وذلك عن طريق تحرير الطاقة الانفعالية وإخراجها في كلمات ذات إيقاع وصورة، تعمل على ترتيب أحاسيسه الداخلية عن طريق الإيقاع والصورة.

وستقوم الدراسة في هذا الجزء على دراسة الخطاب الشعري عند "الفيتوري"، وخاصة فيما يتعلق لتبنيه مصطلح الزوجة وقضاياها.

يُعدُّ "الفيتوري" من الشعراء العرب المعاصرين البارزين الذين حاولوا زحزحة هذه الصخرة، التي تجثو على صدر الأمة العربية، كما يمثل "الفيتوري" في جانب آخر الصراع الدائر في أرض السودان والحرب في جنوبي السودان - بين الإفريقية الزنجية المسيحية الوثنية في جانب، والعروبة والإسلام في جانب آخر، أي بين الحضارة المحلية والحضارة الوافدة، كما يعتبر "الفيتوري" رائداً لمدرسة جديدة تقدم الحدائث الشعرية في ثوب تقليدي.<sup>1</sup>

كتب عن قضايا حيوية ومهمة في حياة الإنسان المعاصر، مشاكله ومعاناته وكتب عن الإنسان الأسود وظروفه المأساوية، كتب عن القضية العربية وتفاعلاتها في مختلف الساحات.

لَوّن "الفيتوري" تجربته الشعرية بلون ذاته وأحاسيسه وانفعالاته، فالتجربة التي يعيشها الشاعر تتبع من ذاته ونراها في شعره وحروفه، وتتسع ذات الشاعر عندما تندمج في المجتمع الذي يعيش فيه، فيرى نفسه من خلال مجتمعه ومن خلال الانسانية جمعاء.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ينظر: أبو هدايا ضو البيت حامد: الصورة الشعرية في شعر الفيتوري، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، سوريا، يوليو، 2010، ص4.

<sup>2</sup> ينظر: فايز الداية: جماليات أسلوب الصورة الفنية، دار الفكر، 1996، مج2، ط1، ص35.

لا يستطيع قارئ "الفيثوري" أن يفرّق في شعره بين ما هو شخصي وما هو قومي، أو بين ما هو خاص، فهو يمزج دائماً بين الإثنين، لأنهما ممتزجان فعلاً في شخصيته، كما أنه لم يقصّر اهتمامه على بلد عربي واحد، وإنما غنّى وبكى واستصرخ لكل ما كان يحدث في مصر، والسودان، وليبيا، ولبنان، والعراق، والصومال، وفلسطين،<sup>1</sup> هذا هو واقع الشاعر الغنائي، أن يصبح عنده التعبير الذاتي موضوعياً، لأن الشاعر يجعل ذاته موضوعية، فالتجربة الشعرية هي مزيج بين ذات الشاعر وتصويره للمجتمع وما يحيط به من مظاهر الكون.

وللشاعر السوداني عقلية متفردة، وتركيبية عقلية ووجدانية خاصة، كان وراءها التمازج العرقي الحاصل في السودان، والذي نتج عنه إنسان قلق يسعى إلى إثبات ذاته وتأكيد هويته التي تنازعتها هويتان: الزنجية في جانب والعروبة في جانب آخر، وقد تفرّد "الفيثوري" عن غيره من الشعراء السودانيين بخصوصية نوع التجربة التي عاشها، حيث ازداد وتعاضب إحساس الشاعر بزنجيته ونتج هذا عن البيئة التي نشأ فيها "الفيثوري"، فقد قضى الشاعر طفولته الأولى بعيداً عن وطنه في مدينة الإسكندرية، هذه المدينة التي ما عرفت الأسود إلاّ خادماً ذليلاً.<sup>2</sup> هذا هو الوضع الاجتماعي الذي فرض على الشاعر منذ طفولته الأولى، إضافة إلى لون بشرته السوداء، وقبح منظره،<sup>3</sup> هذه العوامل مجتمعة ولدت في نفسه إحساساً بالحزن والكآبة والضياع، والغربة فحاول الشاعر أن يصوغ له وطناً وهمياً يتسّق ولون بشرته وأحاسيسه وانفعالاته، فكانت إفريقيا بكل أقطارها، ذلك الوطن الذي ينشده الشاعر فكتب أشعاراً يصوّر فيها الإفريقي.

<sup>1</sup> ينظر: حامد طاهر: محمد الفيثوري، سلسلة شاعر ومختارات، مكتبة الآداب، القاهرة، ص5.

<sup>2</sup> ينظر: وفيق خنسة: جدل الحداثة في الشعر، دار الحقائق، بيروت، 1985، ط1، ص99.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص99.

ومنذ شبابه الباكر، كان "الفيتوري" واعياً بوضعه كإفريقي، ذلك أن سواد بشرته خلق لديه عقدة نقص، وكان رد الفعل الذي ولّده هذا الشعور بالمهانة هو إحساسه بالكبرياء، ما دفعه إلى التّمييز وفرض الذات، ولم يكن أمامه سوى الفن ليجسّد من خلاله هذه الرغبة. وهكذا، زاول الرسم، والعزف والموسيقى، ونظم قصائده على منوال القصيدة العربية الكلاسيكية.

### 1) بين التأسيس والقطيعة (التجاوز):

بدأت رحلة الشاعر "الفيتوري" الشعرية سنة 1974، فاعتبر بداية ربيع شعري جديد، إلاّ أن هذا التجديد الذي مسّ شعره لم يتحقق إلاّ مع الدعوة التي أطلقها العراقي "السياب" (1926-1964) من أجل الخروج بالقصيدة العربية، ومن حالة التكلّس التي أصابتها، وهذا التجديد مسّ القصيدة على مستوى الشكل والمضمون، بتخلّيها عن الاطار الشكلي القديم.

فأصبح "الفيتوري" ينتمي إلى مجموعة الأسماء الشعرية (السياب، أمل دنقل، صلاح عبد الصبور، نازك الملائكة، خليل الحاوي...)، إنه صوت عربي دافئ منشغل بهموم وأشواق إفريقيا، فقد كتب عنه الناقد المصري "محمود أمين العالم": "لقد أخذ الشاعر يلونها (إفريقيا) بلون مشاعره، ويوحّد تاريخه بتاريخها، ويخلع عليها مأساته الخاصة، ويبصر من خلالها خلاصه المنشود، ويتخلّص من أزماته الباطنية ويخلع عليها صراعه النفسي المرير"<sup>1</sup>، فحديثه عن الزوجة هو حديث عن ذاته، التي أراد من خلالها أن يضمّد جروح الذات الزنجية السوداء، وذلك بإيصال هذه القضية إلى العالمية والتعريف بها والتعبير عن تقاليد وثقافتها وتاريخها.

كانت بدايته مع النزعة الزنجية التي ارتبطت بذوقه في مرحلة من الماضي البعيد نسبياً، وغرامه بموسيقى أمريكا السوداء، وتأثره بما كان يقرؤه من عيوب الأدب الزنجي الأمريكي،

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 100.

كرواية "كوخ العم توم"، وبعض أشعار "لانغستون هيوز" و"سيتراينغ براون"، كما تأثر بـ"سنغور" و"سيزير" و"ديوب"، وحاول أن يضم أعماله إلى أعمال هؤلاء باعتبار أن القضية واحدة والمستقبل واحد.

إن المسيرة الشعرية "الفيتوري" عرفت ثلاث مراحل على التوالي: الزنجية ثم الصوفية ثم النضالية (العروبية)، ويمكن القول بأن المرحلتين الأوليين متداخلتان، ويندرج ضمن المرحلة الأولى الدواوين التالية: "أغاني إفريقيا" 1955، "عاشق من إفريقيا" 1964، "انكريني يا إفريقيا" 1965، "أحزان إفريقيا" (سولارا) 1969، بينما المرحلة الثانية لا تشمل سوى مجموعتين: "سقوط دبشليم" 1986، "معزوفة لدرويش متجول" 1969.

وحسب التسلسل التاريخي يمكن تأهيل المرحلة الثالثة لتكون محطة لأنها تبتدئ من سنة 1970 وتستمر في نفس التسلسل الإيديولوجي. وهي تضم المجموعات التالية: "البطل والثورة والمشنقة" 1970، و"ثورة عمر المختار" (مسرحية شعرية) 1971، و"أقوال شاهد إثبات" 1971<sup>1</sup>.

ظلَّ الشاعر يصوِّر الواقع الإفريقي من خلال رؤاه الخاصة، وجعل الشرَّ كله يتمثَّل في الإنسان الأبيض الذي كان يستعمر إفريقيا وينهب ثرواتها، ولقد واكب شعره حركات التحرر في الوطن العربي وإفريقيا، وكان سلاحاً من أسلحتها، كما أشار "محمود أمين العالم": "قد أسهم شعر "الفيتوري" وصحبه من الشعراء في إثراء الوعي الكفاحي والثوري لشباب تلك المرحلة وخاصة أن ثلاثيته الإفريقية قد رافقها اشتعال ثورات وحركات تحرر وانتفاضة كفاح ضد الإستعمار في القارة الإفريقية والعالم العربي، مما جعل شعره جزء من هذه الحركات وسلاحاً من أسلحتها"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: أبو هدايا ضو البيت حامد: الصورة الشعرية في شعر الفيتوري، ص10.

<sup>2</sup> محمد أمين العالم: مقدمة الديوان، مج1، ص49.

وبعد أن نالت الدول الإفريقية استقلالها واستلم مقاليد الحكم أبناءها، خيبت آمال الشاعر في تحقيق العدالة والحرية والمساواة والنقد والرقى، واللحاق بركب الأمم المتقدمة، بل أصبحوا مثل المستعمر الأروبي الأبيض، فهم يمارسون الظلم والقهر والاضطهاد، وبعد أن خاب أمل الشاعر في أبناء جلدته، انطوى على نفسه يستغرق في تأملات روحية عميقة، محاولاً سبر أغوار النفس الإنسانية، فخاض تجربة شعرية فريدة من نوعها وعي التجربة الصوفية،<sup>1</sup> وقد عرفت هذه المرحلة وهذه التجربة نوعاً من القطيعة والتجاوز، حيث تجاوز الشاعر إلى حد ما قضايا الواقع الشائك، بعدما تبدد حلمه، فأصيب بحالة من اليأس والاحباط، مما جعله يلجأ إلى الصوفية.

خاب أمل "الفيتوري" المرتقب، فأخذ يبحث عن خلاص آخر يحقق فيه ذاته، فوجد ذلك في التعبد الصوفي، الذي أنتج من خلاله رؤية شعرية معبرة عن ذاته في توافق وانسجام.

"الفيتوري"، شاعر ميّزه الهروب من الواقع القبيح، إلى عالم السمو المطلق، فقد هرب من واقعه إفريقيا المستعمرة المذلة، إلى عالم إفريقيا الحاملة، التي خيبت أمله، فهرب إلى عالم التصوف والسمو الإلهي، إلى حياة التصوف الديني، فهي وحدها الحياة التي يحقق الإنسان فيها ذاته الإنسانية،<sup>2</sup> حيث يقول:

لا تعجب يا ياقوت

الأعظم من قدر الإنسان هو الإنسان

القاضي يغزل شاربه لمغنيه الحانه

وحكيم القرية مشنوق

والقردة تلهو في السوق

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 11.

<sup>2</sup> ينظر: أبو هدايا ضو البيت حامد: الصورة الشعرية في شعر الفيتوري، ص 12.

يا محبوبي..

ذهب المضطر نحاس

قاضيكم مشدود " في مقعده المسرق

يقضى ما بين الناس

ويجُرُّ عباةته كِبْرًا في الجبانه<sup>1</sup>

فإذا كانت الصورة الأسطورية الحاملة التي رسمها "الفيتوري" لإفريقيا المذلة قد أعطته نوعا من التفاؤل، فإنه وجد عطاءه في الاعراض عن الحياة الدنيوية وعن إفريقيا الخائبة، وفيها انتقل "الفيتوري" إلى نوع آخر من الشعر يتسم بالجدية والحدائثة من حيث المضمون والشكل الفني.

أما عن انتماؤه العربي، فقد اهتم "الفيتوري" بكثير من قضايا الواقع ومشكلاته الإنسانية، أهمها: قضية فلسطين، فقد استطاع الشاعر أن يؤصل لأحد عناصره العرقية المتمثلة في عربيته، وقضية فلسطين هي التي خرجت بالشاعر من الذاتية الجماعية، وقد بدى ذلك في مجموعة من دواوينه أهمها ديوان "ويأتي العاشقون إليك"، فيقول:

لم أكُ مصغيا يوما لدمي القديم

دمي الأشدُّ توهجًا في طقس هذا الكوكب الوحشي

لم أكُ مصغيا يوما لغير دمي القديم

أقول أنا الذي لولا شموخك أنت يا بغداد

ولولا وجهك العربي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الفيتوري: معزوفة لدرويش متحول، المجموعة الكاملة، دار العودة، بيروت، 1972، ط1، ص507-508.

<sup>2</sup> الفيتوري: يأتي العاشقون إليك، دار الشروق، القاهرة، 1992، ط1، ص127-130.

فهذا المقطع يعبر عن ارتداد الشاعر إلى الماضي ليؤكد حقيقة انتمائه العربي، فيحتضن معاناة الانسانية ويتسع ليشمل قضايا مصيرية أساسية، وتتعمق إلى حد اتصالها بحركة الصراع التاريخي وتناقضاته، والتزامها الايجابي بخط التجاوز والسيرورة،<sup>1</sup> ويواصل الشاعر هذا الانفعال محركا الطبيعة من حوله.

وفيما يخص انتماءه العربي أو الزنجي، فقد أعلن "الفيتوري" أن المسألة معقدة، حيث يقول: "أبي سوداني أسود وأمي ليبية ابنة واحد من أكبر تجار الرقيق في ليبيا في بداية القرن، وكانت جدتي من أمي جارية جميلة سوداء تزوجها جدي وأعتقها. وفي حضن هذه الجدة تربيت مدة من حياتي متشعبا بتاريخ النخاسة"<sup>2</sup>، يتضح بأن "الفيتوري" من خلال تجربته الشعرية، كان صوت مجتمع من البشرية يطالب بالحرية والعدالة والمساواة.

الجوع وقضية الاستعمار وقضية الظلم والقهر، وقضية الإنسان الملون الذي يعيش غريبا في أرضه، ويعاني مهانة التفارقة العنصرية في بلاد الحضرة والتمدن.<sup>3</sup> لقد كانت تجارب "الفيتوري" تجارب غير عادية وغير ذاتية شخصية، لأنها تؤكد صلة صاحبها بالحياة والمجتمع، ولقد ركز على موضوع الافريقية، وسعى إلى كشف الحقيقة السوداء ليلتحم ذلك بثقافته الخاصة، وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل في عنصر "العناصر الموضوعاتية".

## (2) النص الزنجي العربي والامتداد العالمي:

لا تخلو أي أمة من شاعر يتغنى بأمجادها وينشر فضائلها ويدافع عنها، فكان "الفيتوري" خير مثال على ذلك، حيث تدور معظم قصائده حول القارة الافريقية وعذاباتها ومعاناتها، وحثها على النهضة، والدعوة إلى الوقوف في وجه المستبد الأبيض الذي خنق حريتها، واستغل ثروتها.

<sup>1</sup> ميشيل عاصي: في النقد الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ط1، ص72.

<sup>2</sup> منيف موسى: مقدمة الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، ص8-9.

<sup>3</sup> ينظر: أبو هدايا ضو البيت حامد: الصورة الشعرية في شعر الفيتوري، ص14.

فكان شاعر القضايا القومية، ذلك الحامل الروح إفريقيًا وزنوجتها، كانت قصائده خارجة عن المؤلف، كونه أراد فضح واقعنا اللإنساني الأسود<sup>1</sup>، حين كانت العنصرية من التابوهات في العالم العربي، فحاول "الفيتوري" لفت النظر إلى هذه المسألة الهامة.

كانت قضية إفريقية باهتة في ذهن العالم الخارجي، ولم تكن لها آمال حقيقة، ولكن "الفيتوري" ظلَّ يمجّد الكفاح الإفريقي منذ صباه حين أصدر ديوانه الأول "أغاني إفريقيا" سنة 1955، وهو لا يزال طالبا في السنة الثانية بدار العلوم، فكان الديوان صرخة ذات إيقاع متميّز دوّت عاليا في فضاء الساحة الأدبية ولاقت استحسانا من كبار النقاد أمثال: سلامة موسى، زكرياء الحجاوي، محمود أمين العالم.<sup>2</sup>

وبعدُ "الفيتوري" في طليعة الشعراء الرواد الذين انتقلوا بالقصيدة التقليدية إلى رحاب الحداثة، وظلَّ يدافع عن الحداثة وحاملا عبء الدفاع عن إفريقيا التي كانت تحت وطأة الاستعمار. يبدو أن القضيتين لم تكونا منفصلتين عنده، الحداثة الشعرية بما هي مسألة وتثوير ونزوع نحو المغايرة والاختلاف، والزوجة أيضا بما هي ثورة ورغبة في استعادة الذات، ونيل الاعتراف بتميّزها. لقد كانت الفكرتان تتبادلان الصدى عند "الفيتوري".

عالج "الفيتوري" موضوع "الإفريقية"، كما سعى إلى كشف الحقيقة السوداء ليلتحم ذلك بثقافته الخاصة،<sup>3</sup> فالقضية الإفريقية إذن هي قضيته، حيث الدفاع المشروع عن الجنس الأسود ضد الأبيض المحتل.

إن "الفيتوري" كشاعر ذي لسان عربي، مقتنع بأن صيحاته لن تصل أبدا إلى الجماهير الإفريقية، ذلك أن هذه ما زالت في حالة بحث عن صوت ذي طابع محلي. فالتواصل إذن مغيب، ورغم هذه القطيعة اللغوية، فإن الشاعر لا يرى أي مانع في أن يضم مجهوداته

<sup>1</sup> ينظر: حامد الطاهر: محمد الفيتوري، سلسلة شاعر ومختارات، ص7

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص9-12..

<sup>3</sup> ينظر: أبو هدايا ضو البيت حامد: الصورة الشعرية في شعر الفيتوري، ص20.

لأخرى سابقة تمت على يد "سنغور" و"سيزير" و"ديوب"، فهناك مستقبل واحد لأن القضية واحدة، والوسائل وحدها التي تختلف<sup>1</sup>.

حاول "الفيتوري" النهوض بالحضارة السوداء، التي هي الأخرى لها طعمها الخاص، فإذا كانت غريبة في عيون الأبيض، فإنها بالنسبة للأسود تعتبر امتدادا لتاريخ عريق.

في ديوان «عاشق من إفريقيا» يأخذ صوت "الفيتوري" نبرة شديدة الخطورة للمطالب، تمثلت في دويّ صدى الصوت الزنجي في أرجاء العالم والتعريف بقضيته، واسترداد اللون المحلي الذي، يمثل تراث الثقافة الزنجية والذي اغتصب بفعل الحضارة الغربية البيضاء، كما يؤكد أن العروبة والزوجة تسيران معا لإضاءة الطريق نحو الحرية.<sup>2</sup>

ومن خلال ولوع "الفيتوري" بموسيقى أمريكا السوداء، وقراءته للنص الزنجي الأمريكي، كأعمال "لانغستون هيوز"، وتأثره بالنص الزنجي الفرنسي كذلك من خلال أعمال "سنغور"، استطاع أن يوصل صوت الزوجة العربية إلى العالمية وأن يثبت بأن القضية الزنجية قضية شرعية، حقوقية إنسانية.

## 1.2 "سنغور": الزوجة وفعل التأسيس للخطاب الزنجي:

ذكرنا سابقا بأن حركة الزوجة نشأت في حقبة الثلاثينات من القرن الماضي، وأنّ الشاعر السنغالي "ليوبولد سيدار سنغور" والشاعر المارتينيكي "ايميه سيزير" والشاعر المنحدر من جزر جبالنا "ليوم داماس" هم الرواد المؤسسون لها.

تبنّت الحركة اللون الأسود كمعادل للهوية في مواجهة الاستعمار العنصري، وآمن الثلاثة بأن الإرث المشترك للسود المنتشرين في العالم هو محاربة الهيمنة البيضاء، والتسلط والاستعلاء السياسي والفكري.

<sup>1</sup> ينظر محمود أمين العالم: الثقافة والثورة، دار الآداب، 1970، ط1، ص270.

<sup>2</sup> بتصرف: محمد الفيتوري: ديوان محمد الفيتوري "عاشق إفريقيا"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص400-422.

وفي هذا الجزء سنتعرّص لشخصية كان لها الدور الفعّال في نجاح قضية الزوجة، وهي شخصية السنغالي "ليوبولد سيدار سنغور"، الذي لُقّب بلقب الفيلسوف والأب الروحي للحركة، محاولين عرض مجهوداته السياسية والفكرية والفنية في إرساء معالم هذه الحركة وامتدادها للعالمية.

ينتمي "ليوبولد سيدار سنغور" إلى فئة قليلة من الشخصيات الإفريقية التي برزت إلى الساحة، وحظيت بشهرة عالمية مدوية خلال القرن الميلادي المنصرم بقدر ما كانت مثيرة لجدل واسع،<sup>1</sup> فكان سبب شهرته هو تميّز أعماله الفنية بتعدد الألوان في شخصيته التي تتجاوز فيها الشاعرية والسياسة والتنظير الفكري، وهو ما يجعل دويّ قصائده يخترق الآفاق.

عشق إفريقيا وعمل على إعادة التباهي بها، عن طريق شرح العادات والتقاليد والأفكار والمعاني، وتمجيد الأبطال الأفارقة، وفطن "سنغور" إلى قيمة المعطى الإفريقي، فسعى إلى خلق حوار بين الحضارات، باعتباره كان مزوج الثقافة (الفرنسية والإفريقية).

وهو يرى أن إفريقيا هي مهد الحضارة الانسانية، وأنّ أصل الإنسان يوجد في القارة الإفريقية، كما أنّ الحفريات في الصحراء تثبت أنّ الإنسان الإفريقي بدأ بالرقص، وأنّ الرقص كان أوّل الفنون الانسانية، وأنّ الحوض المتوسط أكبر تجمّع للثقافات والأعراق، والأعراق الصافية لا توجد إلاّ في البلاد المتحفّظة، أو غابات وسط إفريقيا، وأنّ الميزة الأساسية في الإنسان الإفريقي هي الفنّ والجمال، فحسن الجمال هو سلاح الأفارقة عبر الدهر، على خلاف الرجل الأبيض الذي يملك منهجية التنظيم والتفكير، وأنّ الحضارة الزنجية موجودة بحق، وأنّها قادرة على أن تكون على قدر المساواة مع الحضارة الغربية، وأنّ القناعة الإيمانية الإفريقية تعبّر عن رؤية وجودية وأسلوب الحياة.<sup>2</sup> من هذا المنظور انطلق "سنغور" في مسيرته الأدبية والفنية والشعرية والسياسية، مدافعا عن قضيته الأساسية

<sup>1</sup> محمد سعيد باه: ليوبولد سنغور.. صراع السياسة، الفكر والدين وراء قناع الشاعرية، مجلة قراءات إفريقية، العدد7، 2016، ص5.

<sup>2</sup> ينظر: الصادق محمد آدم: فضايا الأدب الإفريقي وتحدياته، ص68.

"الزوجة"، فكانت انطلاقته التي انتهجها انطلاقاً لها قوام صلب، ساعدته على بناء قاعدة شعرية تمثلت في "إفريقيا السوداء بامتياز".

بدأ "سنغور" رحلته التعليمية في المدارس الدينية، أين تعلم اللاهوت (التي كانت لها تأثير كبير على توجهه السياسي والفكري)، ثم التحق بالمدرسة المسيحية المتوسطة لتكوين القساوسة تحت قيادة الأب ليبرمان "François Liberman" الذي تأثر به سنغور طول حياته.<sup>1</sup>

حصل على منحة دراسية ليسافر إلى فرنسا، وكان بذلك أول إفريقي يحصل على هذه الشهادة، ويتخرج في المدرسة العليا، بعدما فشل في مسابقة الدخول إليها أول مرة.<sup>2</sup>

لاشك بأن "سنغور" كان شاعراً كبيراً كما تعكس ذلك أعماله، أما على المستوى الفكري، فقد خلف سنغور ميراثاً له وزنه، خصص معظمه للتظير لقضية مركزية عنده، هي: "الزوجة" التي ينسب إليه البعض أبوتها، لكنها في الحقيقة ترجع إلى الكاتب الكبير "إيميه سيزير" الذي استفاد منه سنغور كثيراً، فحاول أن يقدم تعريفاً فلسفياً لمفهوم الزوجة بسبب الانتقادات التي تعرض لها، فيقول: "إن الزوجة ببساطة هي الاعتراف بكون الإنسان أسود، والقبول بناء على هذا بمصيرنا باعتبارنا سوداً، وبتاريخنا وثقافتنا".<sup>3</sup> أي تقبل الإنسان الزنجي للحتمية السوداء والتعامل معها، وتقبلها ومن ثمة الافتخار بتاريخها وثقافتها.

نجد من الناحية الفكرية، قد انتمى "سنغور" إلى التيار الشيوعي، على غرار كثير من الشبان الأفارقة الذين كانوا قد ذهبوا في تلك الفترة للدراسة في الغرب، واستهواهم بريق الفكر الشيوعي الذي كانوا يرون فيه المخلص من مخالب الاحتلال الأجنبي الجاثم على صدور شعوبهم، ثم بقي منتظماً إلى هذه المدرسة لمدة طويلة من الزمن حتى في الفترة التي أعقبت

<sup>1</sup> ينظر: الأديب السنغالي -ليوبولد سيدار سنغور- الأدب السنغالي، منتدى المقالات الأدبية والمكتبة الأدبية المتكاملة، 2013.

<sup>2</sup> ينظر: إدريس بخاري: ألوان الأدب الأسود، مكتبة جمعية البيت للثقافة والفنون، 2009، ص112.

<sup>3</sup> LÉPOLD SÉDAR SENGHOR: NÉGRITUDE, ARABITE+FRANCITE, DAR ALKITAB, ALLOBNAN' BEYROUTH 1969.

تسريحه من الجيش الفرنسي غداة الحرب العالمية الثانية، والتي وقع في أثناءها أسيراً في أيدي الألمان.<sup>1</sup>

لا تتفصل تجربة "سنغور" الشعرية عن تجربته السياسية، فهو بدأ شاعراً ومناضلاً سياسياً في آن واحد، والشعار الذي ارتكز عليه في مسيرته: الحرية، الزوجة، الانسانية، فانتماؤه للشعرية الزنجية بمقدار انتماءه إلى الهم السياسي والانساني، فإذا كان "ايميه سيزير" هو السباق في استخدام كلمة الزوجة، فإن "سنغور" هو الذي أعطاها المعنى العميق والشامل، جاعلاً منها مشروعاً سياسياً وانسانياً.

وكما ذكرنا في الفصل الأول من البحث بأن زواجه تتمثل في مجموع القيم الثقافية لإفريقيا السوداء، حيث جمع مفهوم "الزوجة" ومفهوم "الكينونة" كاسراً حال الحصار التاريخي الذي عاشته المجتمعات الإفريقية سياسياً واجتماعياً، فقد كان بمثابة جسر بين الثقافتين: الإفريقية والفرنسية، أي الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة، فأصبح رائداً من رواد الحوار الحضاري القائم على الاحتجاج والرفض،<sup>2</sup> فلقد اعتمد لغة الآخر "المستعمر" ليكتب فيها ما يمثل حالة القطيعة معه، غير أنه لا يمكن إخفاء تأثره بالشعر الفرنسي الحديث، إضافة إلى الخدمات الجليلة التي قدّمها للغة والحضارة الفرنسيتين.

كان لـ "سنغور" ولاءً للوطن وانتماءً للهوية الثقافية الإفريقية، وهو ما جعله يطرح قضايا مصيرية، تحمل مشكلة الهوية الثقافية والاجتماعية، وتبرز الموروث الشعبي لها. لكن "سنغور" تعرّض لكثير من النقد بحكم ملية للثقافة الفرنسية، على أنه متقبل للآخر المستعمر، فكان من وجهة نظر خصومه من السياسيين والفكرين مجرد حاكم فرنسي في إهاب أسمر يمثل دولة فرنسا وحضارتها ورسالتها الثقافية لدى الأمة السنغالية تحت لافتة

<sup>1</sup> ينظر: سليمان الأفسس الشراري: ليوبولد سيدار سنغور رائد الشعر السنغالي الحديث، صحيفة إخبارية-طبرجل الرئيسية، العدد 30، 2015، ت ز: 2018/02/12.

<sup>2</sup> ينظر: عبده وازن: شاعر الزوجة والالتزام والرئاسة، جريدة الحياة، العدد 14159، 2001، ص 10.

الاستقلال المضللة،<sup>1</sup> كما وصفوه بأنه مجرد منصر (مبشر للمسيحية) في زي سياسي، مكنته حنكته ودهاؤه من أن يصبح رئيسا للجمهورية، وأن ولاءه للسنغال كان ولاء صوريا أو مغشوشا.

عانى "سنغور" من ذلك الانتماء المزدوج الإفريقي والفرنسي، وأخذ عليه ميله للثقافة والرؤية السياسية الفرنسية، جهلا بتاريخه النضالي الطويل منذ الاستعمار والهيمنة الفرنسية، و ضد العبودية الثقافية الممارسة على الطلبة الغرباء بفرنسا، خصوصا الأفارقة منهم.

بدى "سنغور" للبعض أنه رجل مثلي في تقبله للمجتمع الآخر، إلا أنه في الواقع كان يشعر بالعزلة والاعتراب ويبحث عن هويته. وعندما أراد أن يختار بين الوصايا والحرية، وبين الانتماء والقبول والرفض للحضارة المستورة، اختار السمات الانسانية، وتغنيبه في شعره بإفريقيا الجديدة التي ستصحو بعد سبات استمر قرونا، وعظم عرق تعرض للإهانات، ولا تختلف تجربته الشعرية عن السياسية، حيث أنه آثر الشعر عن السياسة والرئاسة، فسئل عن الخيار الذي يأخذه، بين أن يكون سياسيا أو أستاذا جامعا أو شاعرا، أجاب: "أختار قصائدي فهناك جمهوري"<sup>2</sup>. فتبين أنه شاعر الحرية بامتياز، والاخلاص والحياة.

عاش "سنغور" لإثبات قدرة القارة السمراء على صنع إنسان من نوع خاص، واتخذ من بشرته السمراء وملامحه الإفريقية الخالصة سلاحا في رحلته العظيمة ضد التعصب والفرقة والعنصرية، وتشكلت ملامح شخصيته من خلال عدة محاور، منها عشقه للفرنسية، وتميزه في الشعر منذ صباه، ودراسته في جامعة باريس وتكوينه صدقات، خاصة مع الشاعر "ايمييه سيزير" الذي أسس معه مجلة ثورية احتجاجية باسم "الطالب الأسود"، التي بلور على صفحاتها مصطلح الزوجة،<sup>3</sup> فأسهم في تحرير الشخصية الزنجية عن طريق شرح العادات والتقاليد الإفريقية والتعريف بمخزونها الثقافي الشعبي.

<sup>1</sup> محمد سعيد باه: ليوبولد سيدار سنغور، صراع السياسة، الفكر والدين وراء قناع الشاعرية، ص8.

<sup>2</sup> ينظر: علوي طه الصافي: رئيس جمهورية وشاعر الزوجة، المجلة الثقافية، العدد53، الاثتين 15 صفر 1425.

<sup>3</sup> ليوبولد سنغور رائد أدب الزوجة الشاعر الرئيس، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد5، 25 مارس 2017، ص2.

بعد أن عاد إلى السنغال، حاول أن يجمع بين ماتعلّمه في فرنسا وموروثاته الإفريقية الأصيلة، وكان يرى أنه يجب تنشئة جيل سنغالي جديد يجمع بين الأصالة والمعاصرة، والتراث والتجديد،<sup>1</sup> ومن هنا نجد أن "سنغور" قد اكتسب شهرة عالمية من خلال كتابته الشعر باللغة الفرنسية، أين سخر قلمه لفضح الممارسات العنصرية.

رغم توجهه السياسي وقيادته رئاسة بلاده، إلا أنه عشق الأدب والشعر وعبر عن قضايا بلاده من خلالهما، حيث يعتبر من الشخصيات التي دعمت الاحساس باعتزاز الزوج بلونهم وشخصيتهم المميّزة.

كان عاشقا ومخلصا لزوجيته، ويرى بأنها تتأهب للانفتاح على العالم والأخذ من شتى القيم الثقافية والانسانية، فيقول: "يجب علينا كزوج أن نستوعب ونؤثر أكثر مما يستوعبنا الغير ويؤثر فينا"<sup>2</sup>، فلم يكن متعصبا لزوجيته، وإنما أراد مالها وما عليها.

كتب باللغة الفرنسية لكن بعقلية زنجية إفريقية، حيث صرح بقوله: "أكتب بالفرنسية لكنني أفكر بزوجية إفريقية"<sup>3</sup>، فحاول بناء نموذج حضاري إنساني منفتح على الثقافات، كما أبرزت أعماله حبه لحرية بلده وحرية الشعوب المضطهدة في العالم.

ناضل من أجل قضية الزوجة وتبني أفكارها وأهدافها، كما أنه حاول إثبات الهوية الزنجية الإفريقية، وندد بالعنصرية، وهذا ما يتجلى في أشعاره ودواوينه، التي سنتطرق لها بالدراسة لاحقا، مبرزين تأثيره بشعراء قد تناولوا قضية الزوجة من قبله من الناحية الشكلية والموضوعية، من بينهم الشاعر الأمريكي "لانغستون هيوز".

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص2.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص3.

<sup>3</sup> شريل داغر: مختارات شعرية من ليوبولد سيدار سنغور، سلسلة إبداعات عالمية، الكويت، 2002، ص154.

## 5.1 هيووز: توسيع أفق الزوجة:

يعتبر شعر الشعراء الأفارقة الأمريكيان سجلاً جمالياً وفنياً يدوّن مختلف جوانب حياتهم بصعوباتها وقضاياها وهمومها، كما يؤكد على هويتهم الانسانية،<sup>1</sup> فقد كان أمام هؤلاء الشعراء مجموعة من القضايا تعبر عمّا بداخلهم، فخلقوا لها صوتاً شعرياً يعبر عن وعيهم العرقي والطبقي والاجتماعي.

ناشد الشعر الإفريقي الأمريكي الحرية والتخلص من العبودية والمساواة، كما عبّر عن حنين لماضٍ قد أصبح ذكرى، وتطلّع لمستقبل مازال مجهولاً، نتيجة لتلك العنصرية والتفرقة والظلم والتعسف، فكانت الكتابة الشعرية ملاذاً له، مكّنته من رفع الصوت الزنجي للعالمية.

أحد الشعراء المهيمنين في تاريخ الأدب الأمريكي، المهيمن بغض النظر عن اللون أو العرق، هو "لانغستون هيووز"، الذي جاء من خلفية أمريكية سوداء، وترك أثراً مهماً في تطور القصيدة الأمريكية بشكل عام،<sup>2</sup> حيث أنه أراد أن يكون شاعر العالم بأكمله، لا شاعر قضية الزوجة فحسب.

هو شاعر وقاص وروائي ومؤلف مسرحي أمريكي أسود، ويعدّ واحداً من أهم ما يسمّى بـ "بنهضة هارلم"، وهي حركة أدبية فنية ظهرت في عشرينيات القرن الماضي تهتم بثقافة الأميركيين الأفارقة، استقت اسمها من الحي الشهير الذي يسكنه الأميركيون من أصل إفريقي في مدينة نيويورك.<sup>3</sup>

تميز شعره بالتعبير عن وعي السود وإحساسهم بكرامتهم تحت وطأة التمييز العنصري،<sup>4</sup> أسهمت كتابات "هيووز" إلى حد بعيد في ترسيخ قيم العدالة والمساواة ونبذ العنصرية والعنف

<sup>1</sup> وجه أمريكا الأسود.. وجه أمريكا الجميل: مختارات من الشعر الأفروأمريكي، تر: أحمد الشافعي، ص5.

<sup>2</sup> سعد البازعي: لغات الشعر، قصائد وقراءات، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2011، ط1، ص189.

<sup>3</sup> عادل صالح الزبيدي: لانغستون هيووز، يومية إيلاف الإلكترونية، ع 6112، لندن، مايو 2011، ص29.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص30.

ضد السود وغيرهم من الأجناس التي يتألف منها الشعب الأمريكي وجعلت منه واحدا من أكثر شعراء أمريكا تعبيرا عن هموم وتطلعات الأميركيين السود.

صحيح أن "هيوز" يعتبر شاعر القصيدة الأمريكية بشكل عام، إلا أنه يظل مرتبطاً بالإشكاليات التي نجمت عن انتمائه العرقي أو الإثني، فقد كان من أوائل أو ربما أول الشعراء الأميركيين الأفارقة في استثمار ذلك الانتماء في تطوير خطاب شعري متميز،<sup>1</sup> على عكس شعراء آخرين الذين انحازوا إلى الموروث الأمريكي الأبيض، وتجاوزوا انتماءهم الإثني بما يزخر به من ثقافة ومكونات ثقافية.

هذا الانتماء القسري حوَّله الشاعر "هيوز" إلى انتماء اختياري، إلى درجة أنه افتخر واعتزَّ وتغنَّى بهذا الانتماء، وذلك كم خلال صور ذات أصالة شعرية واضحة. فكان يؤكد اعتزازه بانتمائه الأسود في مجموعة من أعماله نذكر منها قصيدة "يتحدث الزنجي عن الأنهار"، التي نشرها وهو ابن السابعة عشر من عمره، والتي لاقت رواجاً وشهرة واسعة، والتي أشارَ فيها على الوحدة التاريخية والحتمية لكل المنحدرين من أصول إفريقية في أمريكا، كما نلاحظ بأنه كان شديد الانتماء والافتخار للعرق الزنجي، حيث تغنَّى بذلك في قصيدته "أنا زنجي" فيقول:

أنا زنجي،

أسود تماما كما الليل الأسود

أسود كأغوار بلدي إفريقيا.<sup>2</sup>

فنلاحظ ن خلال هذه السطور حبه وتعلقه لعرقه ولونه وانتمائه الزنجي الأسود، والافتخار

به.

<sup>1</sup> سعد البازعي: لغات الشعر، ص189.

<sup>2</sup> بيتر هاي: موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ص270.

حاول "هيووز" بناء تصوّر زنجي متميّز بالاعتماد على الميثولوجيا السوداء، فقام باستغلال الفلكلور الزنجي وإمكانات اللّهجة الزنجية في الأغاني الروحية، والأمثلة الشعبية والأساطير، فقد اعتمد على اللّهجة العامية التي يتميّز بها الزنوج، واستمدّ أشعاره من موسيقى الجاز والبلوز (أغاني الزنوج الحزينة)، وأشكال موسيقية رأى أنها التعبير الأصيل والمتعمّق عن الفن الذي تبذعه المجتمعات السوداء،<sup>1</sup> فقد قدّم "هيووز" البعدين الروحي والحضاري للسود، والمتمثّلين في الأشكال التعبيرية والإيقاعات الموسيقية والثقافة الطقوسية الشارية في التاريخ.

وكان أكثر الشعراء الزنوج مغامرة وتجريباً، فقد كان يهدف في شعره إلى اكتشاف إيقاع الحياة الزنجية وتدققها، فقد اعتبر نفسه شاعراً شعبياً مؤمناً إيماناً عميقاً بالإمكانات التي تزخر بها موسيقى الزنوج ولغتهم.<sup>2</sup>

كان "هيووز" من أهم المثقفين الزنوج الذين كانوا يسعون جاهدين لتحديد معالم الثقافة الزنجية ورسم الطرق الممكنة للنهوض بها وتطويرها، فنشر مقالا بعنوان "الفنان الزنجي والجل العرقي"، على صفحات مجلة الأمة في جوان 1926، رأى فيه بأن المشكلة تكمن في رغبة الزنجي في أن يكون أكثر أمريكية وأقل زنجية لذلك يرى بأنه لا أمل في أن يظهر فن زنجي حقيقي أصيل في أواسط الطبقات العليا في المجتمع بسبب الاندماج في الثقافة البيضاء، لذلك يضع آماله في السود البسطاء، وهم الأغلبية الساحقة التي لا تعطي أي اهتمام لأمريكا البيضاء.<sup>3</sup> تكمن أهمية هذا المقال في التأسيسي لبعض انشغالات الأدب الزنجي، حيث فتح ممرات كانت ضيقة وتوسّعت إلى مساحات شاسعة، منها: مكانة الثقافة الشعبية والفلكلور، دور الجماهير الكادحة في الثقافة الزنجية، ومضادقية الفن العرقي.

<sup>1</sup> خميسي بوغرارة: النقد الأدبي لزنجي الأمريكي، ص 47.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 47.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 113-115.

ومن هنا نستشف بأن "هيوز" ركّز على ضرورة الارتباط المتين من الفنان الأسود، والطبقة الكادحة الزنجية من جهة، وضرورة صنع الأدب الزنجي من خلال الانغماس في حياة الزوج واكتشاف القيم الانسانية المتداولة فيها.

تحدث "هيوز" عن مفارقات التمييز العنصري الذي عانى منه السود الأمريكيون طوال قرون، كما تحدّث عن الحضارة الغربية وطبيعة الحياة الاجتماعية الأمريكية بشكل خاص،<sup>1</sup> والتي تفرض على المنتمين إليها الالتحام بها، بغض النظر عن هويتهم وثقافتهم وموروثهم، فكان شعره ينطوي على نبض إنساني أكثر من الشعر الأمريكي الأبيض.

اهتم "هيوز" بالجماعات اليسارية الثورية، لاسيما الحزب الشيوعي، وعلى الرغم أنه لم ينضم رسمياً إلى صفوفه، إلا أنه كان مناصراً للشيوعي التي رأى فيها نموذجاً لجلب العدالة للسود في أمريكا،<sup>2</sup> فقد مرض بمرحلة تعاطف قوي مع الشيوعية، وكتب قصائد كثيرة رابطاً بين الرأسمالية والتمييز العنصري الذي عانى منه السود في أمريكا، منحازاً إلى نظام اشتراكي تسود فيه العدالة والمساواة، نذكر من هذه القصائد: "صباح الخير أيتها الثورة"، "وداعاً أيها المسيح".

كان "هيوز" رائداً من رواد "نهضة هارلم" التي ضمّت جيلاً من الكتّاب الأفرو أمريكيين، والذي احتجّ على الظلم والفقر والتفرقة للجنس الأسود، كما عبّر عن اعتزازه لهويته السوداء، وذلك من خلال محاولة تنمية وعي السود أنفسهم،<sup>3</sup> وتميّزت أعماله بالتأكيد على التراث الإفريقي للسود في أمريكا، فقد كانت الزوجة بالنسبة له موجة من موجات التحرر في سياق نضال عالمي شد كل قيم الاستبداد والاستعباد، من أجل التحرر من القالب الثقافي الذي وضعهم فيه البيض طوال العقود السابقة.

<sup>1</sup> سعد البازعي: لغات الشعر، ص 196.

<sup>2</sup> خليل شطا: أضواء على الأدب الإفريقي المعاصر، نفاحات انسانية ساميو وتعلّق بالجذور الإفريقية، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 38-39، يناير 1984، ص 85.

<sup>3</sup> وجه أمريكا الأسود.. وجه أمريكا الجميل: مختارات من الشعر الأفروأمريكي، تر: أحمد الشافعي، ص 45.

علا صوت "هيوز" وصارت أعماله أكثر عنفا في فترة الخمسينات والستينات، فقد صار الاحتجاج أكثر تحدياً وأكثر وضوحاً من ذي قبل، فأعاد اكتشاف التاريخ والفلكلور الزنجيليين، والدعوة إلى إفريقيا الوطن المفقود،<sup>1</sup> فكانت قصائده تعبيراً عن الروابط الروحانية بينه وبين إفريقيا، التي لم تستطع الثقافة البيضاء محوها.

هكذا استطاع "هيوز" أن يخرج الصوت الزنجي من القمع الأمريكي الأبيض، عن طريق موجات التحرر إلى العالمية، وتوسيع أفق الزوجة، والاعتراف بالحقوق المدنية بالنسبة للإنسان الزنجي، وكان ملاذه في ذلك الشعر، الذي كان لساناً للاحتجاج وللوعي العنصري، واستيعاب الإنسانية، وكان وسيلة لتخليد الموروث والفلكلور الإفريقي، فكان لـ "هيوز" الفضل في بروز أصوات إفريقية كانت دفيئة وسط سيطرة البيض، وكان له الفضل في توسيع آفاق كانت ضيقة، من خلال شعره الذي كان عبارة عن وثيقة اجتماعية لا ظاهرة أدبية.

## 2. العناصر الموضوعاتية للثالث الإفريقي:

### 2.1 العناصر الموضوعاتية عند "الفيتوري":

يعتبر "الفيتوري" شاعراً كبيراً من إفريقيا، شاعر أنشد للثورة ومجد روح إفريقيا والبطولات العربية، يدعو الشعوب إلى الحرية ورفع الذل والاستعباد، يرفض الواقع العربي المتردي ويدفعه نحو الرقي والحضارة.

حمل لواء الحرية، وخاض المعارك الوطنية إلى جانب الشعب ضد الحكام، وضد القمع والاضطهاد والظلم والتجوع والطغيان، فقد مثل بقصائده جزءاً من حياة الشعب الإفريقي والشعوب العربية،<sup>2</sup> فأشعاره تعتبر مدرسة للتعبير عن الحرية وسيادة الإنسان، والتحرر من الاستعمار والفساد والعدوان.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 58.

<sup>2</sup> ليلا قاسمي حاجي آبادي: القومية في أشعار محمد الفيتوري، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، العدد 15: خريف 1391 هـ، ص 99.

تعدّ الوحدة والانفراد والغربة الطابع الذي طبع حياة الشاعر كما ظهر أثره في شعره، فكان يقرأ سيرة الشاعر الأسود "عنتر بن شداد" الذي كان بطله الأول، هذا الفارس الغربي الأسود مثله، الذي عرف كيف يفرض ذاته، وأن يؤكّد وجوده في مجتمع الجاهلية المتعصّب، الذي لا سيادة فيه إلاّ للأقوى والأغنى والأشرف.<sup>1</sup>

عشق "الفيتوري" الشعر وولع به، وساهم في إثراء الساحة الشعرية بدواوينه الكثيرة، يقول في قصيدة "معزوفة لدرويش متجول":

في حضرة من أهوى      عبثت بي الأشواق  
حدقت بلا وجه      ورقصت بلا ساق  
وزاحمت برايتي      وطبولي الآفاق  
عشقي يفني عشقي      وفنائي استغراق  
مملوك لك      سلكان العشاق<sup>2</sup>

كانت لغة الشعر بالنسبة لـ"الفيتوري" هي لغة الوجود، بل هي الحياة التي ينشدها الشاعر ويتطلّع إليها، فيؤكد على الدور الذي يمكن ان تلعبه الكلمة الشعرية فيقول:

كلماتي أشواق سجين عاش، ثأر سجين مات  
كلماتي أجساد ضحايا مصلوبين بين الطرقات  
كلماتي أصوات حياة لا تعرف موت الكلمات<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبده بدوي: الشعر الحديث في شعر السودان، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1962، (د.ط.).

<sup>2</sup> الفيتوري: المجموعة الكاملة، دار العودة، بيروت، (د.ت)، (د.ط.).

<sup>3</sup> الفيتوري: عاشق إفريقيا، دار العودة، بيروت، 1972، مج1، ط1، ص354-355.

هكذا كانت هذه الكلمات تحمل صوت الحياة التي ينشدها الشاعر، فمهما مات صاحبها تبقى الكلمات خالدة، وكلمات "الفيتوري" هنا صارت قطعة من الوجود تمثل تجربته الانسانية التي استطاع أن يلتحم فيها بالواقع التحاما تاما صادقا.

ارتبطت قصائد الشاعر "الفيتوري" بقوة الروح الإفريقية المعذبة، والإنسان الزنجي المضطهد بسبب لونه وموقعه الاجتماعي على حد سواء، فقد تغنى منشدا لإفريقيا، وجعل من إفريقيته للتحرر والمجد الزنجي الضائع.

عاش "الفيتوري" غريبا عن أرضه التي ولد فيها، لكن آلام الغربة لم تثبط من عزيمته، بل زادت تحديا وصرارا، فوقف في وجه الحياة هازئا من كل شيء لا يعجبه،<sup>1</sup> مفتخرا بنفسه ومعتزا بإفريقيته وزوجته، متعجبا من نظرات الناس إليه، يقول:

فقير أجل .. ودميم دميم	بلون الشتاء .. بلون الغيوم
يسير فتسخر منه الوجوه	وتسخر حتى وجوه الهموم
فيحمل أحقاده في جنون	ويحضن أحزانه في وجوم
ولكنه أبداً حالم	وفي قلبه يقظات النجوم <sup>2</sup>

بهذه الأبيات يكتشف "الفيتوري" ذاته وواقعه ويعرّف سرّ المأساة التي ولدت معه، فوصف نفسه، حيث أسود البشرة قصير القامة، لكنّه طيّب القلب أفضل من الكثيرين الذين يحملون جمال الملامح وهم سود القلب،<sup>3</sup> فهو لم يعد اللون الأسود عيبا أو عارا، لأنه من صنع الله، والله لا يخلق إلا جميلا، فوجد فكرة السواد تحضر بكثافة واطراد في نصوصه بوعي منه، وعلى غير وعي منه.

<sup>1</sup> ليلا قاسمي حاجي آبادي: القومية في أشعار محمد الفيتوري، ص 100.

<sup>2</sup> الفيتوري: الأعمال الكاملة، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص 15.

<sup>3</sup> ينظر: ليلا قاسمي حاجي آبادي: القومية في أشعار محمد الفيتوري، ص 100.

عالج "الفيتوري" موضوع الإفريقية، كما سعى إلى كشف الحقيقة السوداء ليلتحم ذلك بثقافته الخاصة، هذه الثقافة عندما تتعمق تأخذ بعدا انسجاميا على المستوى الاجتماعي، وزهوا على المستوى العنصري، ومماثلة على المستوى العرقي، ومنبعا للحرية لا ينضب على المستوى النضالي، فيقول في قصيدة "أنا زنجي":

قلها لا تجبن.. لا تجبن ! قلها في وجه البشريه..

أنا زنجي.. وأبي زنجي الجد وأمي زنجية..

أنا أسود.. أسود لكني حر أمتك الحرية<sup>1</sup>

فالمجتمع الذي يواجه "الفيتوري" هو المجتمع الأشقر الأبيض الغني المتكبر العالي، هذا الدأكن الأسود الضعيف البنية، القصير القامة، أحسّ بأنه ينبغي أن ينهض ويستقيم، وأدرك أنه لا يوجد أمامه سوى الكتابة والقلم.

يعتبر "الفيتوري" محامي إفريقيا بحق ، حيث نكاد نجزم بأنه أول شاعر عربي تعرض لقضايا الإفريقية، فلم يسبق لنا أن رأينا هذه القضايا تتداول من قبل، فما فتى "الفيتوري" يحمل عبء الانسان الاسود ، ويحترق ألما لما يصيبه من ذل واحتراق على يد الأبيض ، ويتمنى أن تطلع نجم الحرية في سماء هذا الإنسان المظلوم.

وبما أن الثقافة ترميز للتاريخ فهي ترميز للتاريخ الذي يدون السيادة البيضاء، لذلك نجد "الفيتوري" أعلن ثورته السوداء قائلا:

لنتنفض جثة تاريخنا.. ولينصب تمثال أحقادنا..

آن لهذا الأسود.. المنزوي المتواري عن عيون السنا

آن له أن يتحدى الوري.. آن له أن يتحدى الفنا

فلتحن الشمس لهاماتنا ولتخشع الأرض لأصواتنا

<sup>1</sup> ينظر: محمد السرغيني: الزوجة في شعر الفيتوري، تح: حسن الغرقي، مجلة نزوى، 2015، (د.ط)، ص3.

إنا سنكسوها بأفراحنا      كما كسوناهما بأحزاننا

أجل.. فإننا قد أتى دورنا      إفريقي.. إنا أتى دورنا <sup>1</sup>.

في رسالة "الفيثوري" الشعرية، لا يتوقّف القارئ عن الاحساس الجارف بحقّ الانسان أيّا كان جنسه أو لونه أو مستواه الاجتماعي في الحرية والكرامة والمساواة، فإنّه يرفض وبصوت عالٍ كل مظاهر الكبت والإذلال والتفرقة والعنصرية، يقول:

جبهة العبد، وفعل السيّد      وأنين الأسود المضطهد

تلك مأساة قرون غربت      لم أعد أقبلها.. لم أعد

كيف يستعبد أبيض      كيف يستعبد أمسي وغدي

أنا إنسان ولي حرّيتي      وهي أغلى ثروة من ولدي <sup>2</sup>.

ويستمر "الفيثوري" في رفضه لكلّ ألوان الاستعباد الأبيض لأهل إفريقيا السود، وتتمثّل قوّة رسالته الشعرية في أنه يواجه هذا الأبيض المستبد صارخاً فيه:

أ لئن وجهي أسود، ووجهك      أبيض، سمّيتني عبداً

ووطنت إنسانيّتي، وحقرت      روحانيّتي، وصنعت لي قيّداً

لا يا أخي، إنّ التهاب مشاعري      هيهات بعد اليوم يهدا

إنّ صحتي صحت من أمسي      وذو فأس تهد قبوره هدّاً <sup>3</sup>

وتعدّ إفريقيا فضاء ومشهداً أساسياً في نص "الفيثوري" الشعري، ومحنة الانسان الإفريقي ضدّ العبودية والاستعمار، وتوقه إلى التحرر موضوعاً أساسياً في قصائده، حتّى أصبح صوت إفريقيا وشاعرها، وحرّض أهلها على فعل الحرية.

<sup>1</sup> محمد الفيثوري: الأعمال الكاملة، من قصيدة البعث الإفريقي، مج1، ص29-30.

<sup>2</sup> محمد الفيثوري: ديوان أغاني إفريقيا، ص33.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص52.

فالقضية الإفريقية إذن هي قضية فيتورية بامتياز، حيث الدفاع المشروع عن الجنس الأسود المظلوم ضد الأبيض الظالم المحتل، والكل يبتدئ وينتهي عند عتبة العنف، الذي يعتبر أساس رد الفعل تجاه الحقيقة المخيفة التي يوجد عليها الإفريقي، وعندما يجد التبرير الوحيد في الثورة، وذلك من خلال نظمه لشعر جميل في قريته، يحلم من خلاله بالثورة على الإقطاع:

"كانت جموع السحب.. كان الدجى يرخي/ جناحيه على القرية !.. وكانت الأوجه ذات

الأسى.. ذات العيون الاستوائية / قد انزوت خلف سراديبها.. تحلم بالنار، / وبالثورة،

تحلم بالثأر لتاريخها من العدو الأبيض الجثه"<sup>1</sup>

عاش "الفيتوري" وشاهد أثر ظلم الاستعمار على الناس، فهو شاعر أحسّ مشاكل إفريقيا ومشاكل العرب معاً، فصوّر مشكلة الانسان المتألم في كل العالم، فهو لا يتعلّق بإفريقيا أو الشعوب العربية، بل يتعلّق بالإنسانية، فيخاطب كلّ الشرقيين:

يا أخي في الشرق في كل سكن      يا أخي في الأرض في كل وطن

أنا أدعوك فهل تعرفني      يا أخواً أعرفه رغم المحن.<sup>2</sup>

وإذا حاولنا أن نضع مقارنة بينه وبين الشاعر "سنغور" حول موضوع "نيويورك"، لوجدنا الفرق شاسعاً بين شاعريتهما، ف"سنغور" حين يقف أمام نيويورك فإنه يصفها كما رآها، لأنه سبق له وأن زارها فيقول: "نيويورك لقد حيرني جمالك"، ثم يذكر الرهبة التي أخذته حين رآها، ثم يكشف الحقيقة على مهل وبدون غضب أو حقد: "أسبوعان بلا أنهار ولا حقول وكل الطيور التي تحلّق في الهواء تسقط بالرعب متناثرة على الأسطح المستوية.. لا ابتسامات الطفل ناضرة ويده تتحرّك نقوشاً في يدي، لا صدر أم حنون .. بل سيفان من النيّلون..

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص31. من قصيدة "ثورة قارة".

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص33.

وصدور لا عرق لها ولا رائحة، ولا كلمة عطف لأنه ليس ثمة شفاه، بل قلوب صناعية  
اشترت بالعملة الصعبة.<sup>1</sup>

ثم يناقش نيويورك، ويطلبها بأن تصغي لصوتها الخشن وإلى الايقاع، وإلى دُم الطُّبول  
"توم توم"، ثم يقول لها دون صراخ: "دعي الدَّم الأسود يسيل في دمك علَّه يمحو الصداً عن  
مفاصلك الصلبة كما زيت الحياة"، أما "الفيتوري" فيضع نيويورك أمام قضية "الزواج"  
مباشرة، ثم يكيل لها الشتائم، ثم يصرخ في النهاية قائلاً: "نيويورك يا غابة الموت.. ملعونة  
كيف كنت"<sup>2</sup>.

ربما يرجع غضبه هذا لعدم احتكاكه بهوان التفرة العنصرية، لأنه عاش مغترباً عن  
بلاده، فقال شعره بعضه في الاسكندرية والقاهرة، وبعضه في الخرطوم، وبعضه في دول  
عربية متفرقة.

وربما لأنه شاهد نيويورك من الخارج، فهي ليست بلداً للشاعر، وليست موطناً للشعر.

يرى "الفيتوري" في نيويورك "الواقعية"، يرى فيها الاستهلاك والخوف والاضطهاد،  
المأساة الواقعة تحت انتداب الأبيض، يرى فيها القهر والذلّ والعبودية، كما تظهر نيويورك  
بالنسبة له أيضاً "الحالمة"، وذلك بعدم اكترائها، لأنها حسبها ماجنة مجردة من كل احتشام،<sup>3</sup>  
فنيويورك الحالمة حاضرة لا تطاق، لا يرى فيها سوى سلالة عاقلة.

نلاحظ بأن الشاعران يقفان وجهاً لوجه أمام "نيويورك"، ونيويورك مكان، ولكنه مكان  
يرشح بثقافة عنصرية باردة، إنّه مكان، بلا أنهار ولا حقول ولا طيور، هكذا تبدو عند  
"سنغور"، وينتهي "الفيتوري" إلى النتيجة نفسها، وهي أن نيويورك هي "غابة الموت"، بما

<sup>1</sup> عبده بدوي: عاشق من إفريقيا للشاعر محمد الفيتوري، مجلة شعر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر، 1976، ص28.

<sup>2</sup> محمد الفيتوري: الأعمال الكاملة، مج1، قصيدة غابة الموت، ص497-498.

<sup>3</sup> محمد السريغيني: الزوجة في شعر الفيتوري، ص7.

يعني أنها أيضا بلا أنهار، لا حقول ولا طيور. ومن ثم فهي ملعونة من جميع صورها وأشكالها.

هكذا، ومن خلال صرخات "الفيتوري" الإفريقية، أراد أن يكون محاميا لقارته السوداء، وناطقا باسم الأفارقة والعرب، فعبر عن ذلك في دواوينه أحسن تعبير، فكانت إفريقيا الحلقة الأولى في رسالة الشاعر الثورية، وكان الوطن العربي الرسالة الثانية، وكان هدفه الدفاع عن اللون الأسود الذي هو حالة من جلد الذات، وإعادة الاعتبار لهذا اللون، إلى درجة أنه أراد أن يخلع ثوب الإفريقي متتكرا له، لأنه ثوب العبودية والقهر، لذلك يقول: إذا كنت يا إفريقيا أمي التي ولدتني، فلماذا تليدينني أسود، كالشامة وسط جسد أبيض يسيطر، ويهيمن ويحكم، ويرسم، وينفذ؟<sup>1</sup>، فنخلص إلى أن الزوجة بالنسبة "للفيتوري" ليست إلا انتماء إثنيا لا إيديولوجي

## 2.2 العناصر الموضوعاتية عند "سنغور":

كنا قد تعرّفنا على قضية الزوجة عند "الفيتوري" حيال قضية الزوجة، وكيف عبر عن إفريقيا في دواوينه، محاولا تغيير تلك الصورة النمطية التي لطالما أرهقت الانسان الأسود العربي السوداني، والآن سنحاول رصد موقف "سنغور" تجاه هذه القضية في الثقافة الفرنسية، محاولين إبراز أهم المواضيع والقضايا التي ناقشها وطرحها، ومبرزين جهوده من أجل إرساء دعائم قضية الزوجة.

سعى "سنغور" من خلال قصائده لإثبات ذاته وانتمائه وهويته إلى القارة السمراء، وأن جذوره متأصلة فيها، وكذلك لإثبات هوية هذه القارة، والاعتزاز والافتخار بكونه أسود اللون، والنهوض ضدّ العنصرية الممارسة على بني قارته، فجعل القارة هي المركز والآخر هو الهامش.

<sup>1</sup> الشطي: شعر محمد الفيتوري المحتوى والفن، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص 27.

عاش "سنغور" بعيدا عن بلده الأم، وهذا ما جعل قصائده التي كتبها في باريس تعبر عن أحوال العزلة والقلق التي كان يعيشها الشاعر، فعبر ديوانه الأول "أغنيات الظل" 1945، عن تحسره على البلاد السوداء، وحاول أن يستعيد لها من خلاله، فوصفها بـ"الجنة"، وسط تلك الغربة المتوحشة يعتبر هذه الجنة مملكة أين عاش واستمتع بطفولته،<sup>1</sup> فموضوع شعره هو موضوع حياته والتعبير عن غربته واشتياقه لوطنه الأم، وشاعريته أصيلة، والشعر بالنسبة له رسالة إلى الحياة.

كما عبر في ديوانه الثاني "قرايين سوداء" 1948، عن تأثره الشديد بأجواء الحرب العالمية الثانية، وكانت قصائده تدور حول معاناة الجنود السود في تلك الحرب، فقد اتهم "سنغور" أوروبا في قصائده مستخدما لهجة مباشرة.

شعر "سنغور" حافل بأصداء حياته الشخصية والألوان والذكريات والأحاسيس والرؤى،<sup>2</sup> وكان الحب حاضرا في معظم دواوينه التالية، وتتخلله القضية الأفريقية من حين لآخر. نلاحظ بأن أعمال "سنغور" الأدبية والفكرية أخذت أشكالا متنوعة، فعكست اهتمامه الفائق بنحت كلمة "الزوجة"، وما يضفي طابع التماسك على أعماله، هي القاعدة الصلبة التي انتهجها ليبني نصا شعريا عنوانه "أفريقيا السوداء بامتياز".

تعلقت القضية الزنجية عند "سنغور" بجانبين: السياسي والفكري، فأنتهى الجانب السياسي بعد أن أصبحت بلده مستقلة، لها حكومتها الوطنية،<sup>3</sup> أما الجانب الفكرى فقد شغله طويلا وترك الرئاسة لأجله، ففضى وقته في قراءة وكتابة الشعر خاصة، ورغم أنه يكتب بالفرنسية، لكنه لم يكتب شعرا فرنسيا، بل شعرا زنجيا.

<sup>1</sup> ينظر: رضوان عاشور: الرواية في غرب إفريقيا، دار ابن رشد، القاهرة، 1975، ص212.

<sup>2</sup> ينظر: عبده وزان: أثر الشعر على السياسة، جبهة الشعر، العدد48، ديسمبر 2001.

<sup>3</sup> علي شلش: الأدب الإفريقي، ص212.

**1) ماهية اللون في شعر "سنغور":**

تلاعب "سنغور" بالألوان بطريقة فنية استطاع أن يبرز موقفه من خلالها، وأن يعطي صورة فنية جمالية في قصائده.

أعطى الشاعر قيمة جمالية تُثبت هوية الافريقي الأسود، ويظهر هذا في قصيدة "إلى أخي الأبيض" **a mon frère blanc**، والتي تغنى من خلالها بلونه الأسود الدائم، والبعيد عن النفاق الأخلاقي والسلوكي، فيفتخر بزواجه وسواده الثابت مع مراحل العمر الطويلة، فقال:

**عندما ولدت كنت أسود**

**وعندما كبرت كنت أسود،**

**وعندما سأموت، سأكون أسود.<sup>1</sup>**

يعترف هنا بسواده، ويفتخر ويؤكد أن السواد هو الأصل، فالانسان الأبيض لم يُعرف في العالم إلا بوجود الانسان الأسود، وهذا بممارسة العنصرية ضده، التي هي قضية عالمية.

عاش الشاعر مع الانسان الأبيض، وحاول اكتشافه ومعرفة الأسباب التي جعلته يُهمّش الأسود، فاكتشف أن هذا الآخر مجرد حرياء، تغير لونها لخداع الآخرين وإعطائهم صورة غير التي عليها في الأصل، لذلك نجد "سنغور" ختم قصيدته بسؤال:

**"فأين إذن هو الانسان الملون"<sup>2</sup>**

كما تحدث عن اللون الأسود في قصيدة "إمرأة سوداء" **femme noire**، فمن خلال العنوان تبين أنه يوجّه الخطاب لفئة عينة من النساء، واعتبر أن اللون الأسود هو لون الحياة، فيقول: **"لونك هو الحياة وشكلك هو الجمال"**<sup>3</sup>، فهنا يؤكد بأن التغني بجمال المرأة

<sup>1</sup> شريل داغر: ترجمة أشعار سنغور، ص212.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص212.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص214.

وجسدها وروحها، لا يوجد في كل النساء، بل في المرأة السوداء فقط، فنلاحظ هنا احتفال باللون الأسود، حيث اعتبرت هذه القصيدة من طرف العديد من الناقدین أنها قصيدة ثورية بين المرأة البيضاء والمرأة السوداء.

ويتأكد جمال اللون الأسود، "سنغور" يثبت أهمية هذا اللون، ودوره لباقي الألوان حين قال: "والحلي في ليل جسدك"<sup>1</sup> فلولا سواد جسد المرأة لما طغى بريق هذه الحلي، ولما برز جمالها الأبيض، فيحاول أن يبين قيمة الانسان الأسود في اكتشاف الانسان الأبيض.

استعمل "سنغور" اللون الأبيض كتنقيض للون الأسود، فخاطب الآخر بلونه الذي يفخر به، وكأنه تعمد أن يصيبه في هويته، فقام بزعزعة كبريائه وثقته بهويته حين قال: "عندما كبرت، كنت أبيض"<sup>2</sup> أي أن البياض يصيبه في آخر العمر، أما باقي المراحل من العمر يتبدل اللون بتبدل المراحل. فمن خلال هذه المقارنة، نجح "سنغور" في إثبات الهوية السوداء وتحطم الهوية البيضاء.

## (2) رمز المرأة عند "سنغور":

لم يغيب "سنغور" رمز المرأة في أشعاره، فعبر عن غربته واشتياقه لهذه المرأة، التي مثلت الزوجة، والعشيقة، والأم والوطن في قصائده.

مثلت المرأة الوطن الأم، أين مجّد المرأة وربطها بالطبيعة، واحتلت مكانة كبيرة في حياته وشعره، عندما يكتب عن "إفريقيا"، فهو يظهر لها الحياة والاحترام والحنين للقائها، فكتب قصائده في الغربة بعيدا عن الوطن، وكان غزله هو الوجه الآخر لرغبته في العودة إلى إفريقيا.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص214.

<sup>2</sup> محمد عبد الغني سعودي: قضايا إفريقيا، مجلة عالم المعرفة، الكويت، 1980، 115.

## 3) الهوية في شعر "سنغور":

تميّز الأدب الإفريقي بتعبيره المستمر عن آثار الاستعمار، والمعاملات الموجعة للتفرقة العنصرية والذاتية ومشكلة اللون والبحث عن الهوية، فظهر الأدب الزنجي، لإبراز الهوية الإفريقية والإبداع الأسود وتراثه، فكان "سنغور" بالمرصاد، حيث دافع عن القضية الزنجية، وناضل لإعادة الاعتبار لبني بشرته، واستطاع فهم هذا التميّز بأنه أجوف، لا صحة له في تاريخ البشرية،<sup>1</sup> وأثبت الهوية السوداء بدفاعه عن القضية الزنجية بشعره وسياسته معا.

كتب قصيدة "إلى الأبيض العزيز"، وهي ثبت للهوية وضد العنصرية، حيث أنه افتتح القصيدة بكلمة "أخي" لكسر حاجز العنصرية، فأثبت هويته من خلال التّعني بلونه الأسود. ركّز على الضمير "الأنا"، وهذا لإبراز قوة شخصيته، وثقته في إعلاء صوته في وجه الآخر، ومن خلال استعماله للضمير "الأنا" يثبت هويته وانتماءه إلى السود دون خوف.

كما يذكر الشاعر الحشرات الإفريقية فيقول في قصيدة "توكو والي":

كانت الحقول مليئة بديدان لامعة

والنجوم تحطُّ على العشب

على الشجر والصمت يحيط به.<sup>2</sup>

فالشاعر هنا يصف الحياة والبيئة والطبيعة الإفريقية، فسوّرها في صورة جمالية، والتي جزء من الهوية التي لا يمكن نكرانها، فهي عناصر أساسية في تشكيل الهوية. ثمّ يذكر العادات والتقاليد وحكايات الأسلاف: "وتشرح لي العلامات التي يملئها الأجداد في الهدوء البحري"،<sup>3</sup> وهي عناصر ترسخ الهوية السوداء، فاعترف بها "سنغور" من أجل الاعتزاز بها.

<sup>1</sup> ينظر: ادريس بوخاري: ألوان الدب الأسود، انطولوجيا عربية عن الأدب الإفريقي، منشورات جمعية البيت الثقافة والفنون، الجزائر، ص 311.

<sup>2</sup> حمزة الملك طمبل: مكتبة عربي، العدد 154.

<sup>3</sup> المرجع السابق.

وأتصوّر أن "سنغور" يتجاوز في هذا السطر الحديث عن العادات والتقاليد، ويتّجه عبر الرّبط بين الأجداد والبحر، إلى قصة الاستعباد التي عانى منها الأجداد، حين كانوا يُنقلون عبر البحر إلى مهاجرهم البعيدة، إلى العبودية التي أسس لها الآباء البيض.

هكذا قام "سنغور" بإعلاء صوته أمام العالم، مدافعا عن القضية الزنجية، ومحاوِلا إعادة الاعتبار لذوي البشرة السوداء، من خلال تمجيد المرأة، فالمرأة هي الأم، الوطن، ففي قصيدة "إمرأة سوداء"، قال: "أيتها المرأة أشعلي أمام الأجداد مصباحك، الذي يعمل بالزّب<sup>1</sup>"

ويتحدث عن هذه المرأة التي أخذت مشاعره، وظلّ يفكر فيها في الغربة، وأن لونها الأسود هو الطبيعة والحياة، وشكل جسدها هي الشكل الجميل، وقد أصدر حكمه هذا بعد رؤيته للمرأة الأخرى، فيقول:

إمرأة سوداء، امرأة عارية

نشأت في ظلّك وكانت عذوبة يديك

أكتشف أرضا موعودة<sup>2</sup>

ركّز على صفة العارية لأن اللباس يخفي أشياء وينقص أخرى، فهي جميلة وواضحة في الوقت نفسه، ذات الجمال الأسود.

فالمرأة تعني الجمال والأنوثة، وليست أي امرأة، إنّما المرأة السوداء، فيقول:

أنت الثمرة الناضجة لجسد راسخ

أنت النشوة القائمة من خمرة سوداء

أنت الفم الذي يحوّل شفّتي إلى أغنية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> شربل داغر: ترجمة أشعار سنغور، ص 116.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 213.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 213.

شكَّلت المرأة عند "سنغور" أكثر من رمز، فهي المحبوبة، والأم الحنون، وأرض الوطن الذي يشواق إليه، فمجدَّ المرأة، فاعترف بعدم قدرته على الاستمرار دونها، فأعطى لها مكانة تستحقها بجدارة، وليس أيَّ امرأة، وإنما المرأة السوداء، امرأة بلاده.

كما يتميَّز بثقة في التلاعب بالألوان، وثبت هويته من خلال ثبات شخصه، فحارب من أجل انتصار الهوية السوداء، ونجح في إيصال صوتها للعالم، وإعادة النَّظر في هذا الأسود المهمَّش.

### 2.3 العناصر الموضوعاتية عند "هيوز":

ظهر الأدب الزنجي لإبراز الهوية الإفريقية والإبداع الأسود وتراثه، وحضارته والاعتزاز بالانتماء لإفريقيا، بسبب الظروف القاسية، حمل كتاب الأدب الإفريقي على عاتقهم مهمة إعلاء الصوت الزنجي، فتمكَّنوا بإبداعاتهم لفت أنظار العالم إلى هذا الأدب الجديد المستمد من التُّراث الشعبي الإفريقي في مختلف الثقافات، فكما سبق لنا وأن لاحظنا موقف "الفيثوري" في الثقافة العربية، وإصرار "سنغور" في الثقافة الفرنسية، سنحاول إبراز موقف "هيوز" في الثقافة الأمريكية حيال هذا الأدب، من خلال الموضوعات التي عالجها في قصائده.

جمعت قصائده بين الدُّعابة والحزن، وبين الرِّقة والتَّهديد، يحدِّثنا عن آلام الشعب الزنجي في أمريكا، فيصوِّر لنا الرِّق القديم في حكايات "العمَّة سوزان" حين قال:

رأس العمَّة سوزان مليء بالحكايات/ وقلب العمَّة سوزان يفيض بالحكايات،

في ليالي الصيف وعلى شرفة بيتها/ تضم العمَّة سوزان بين ذراعيها طفلاً زنجياً

تحيطه بالعطف والحنان وتروي له حكايات /العبيد الزوج الذين يسرون في الليالي

الحالكة".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> خليل الشطا: أضواء على الأدب الإفريقي المعاصر، نفاحات إنسانية سامية وتعلق بالجذور الإفريقية، ص 88.

هذه القصيدة مليئة بالحزن، تحكي مأساة الزوج ومعاناتهم، فعبر "هيوز" عن ذلك الماضي الأليم. ونجده أيضا يعبر عن حنينه إلى إفريقيا الضائعة في قصيدته الرائعة "أرضنا"، ويصف لنا قلق الزوج الذين يعيشون وسط حضارة الرجل الأبيض في قصيدته: "نحن نئنُ وسط ناطحات السحاب/ تماما كما كان آباؤنا وأجدادنا يئنون، وسط الأشجار في أفريقيا الحية، / ذلك لأننا نشعر بأننا وحدنا".<sup>1</sup>

ويطالب كذلك في قصيدته المؤثرة "النجوم" باسترداد مكانته في المجتمع، إذ يقول في كلمته الخالدة: "وأنا أيضا أمثل أمريكا".<sup>2</sup>

أعمال "هيوز" الأولى والمبكرة لم تعمل على مهاجمة المجتمع البيض بشكل مباشر، بسبب التَّعصُّب العرقي الذي كان يمارسه هذا المجتمع، بل كان يرسل احتجاجاته وشكاويه بشكل سلمي، كان قريبا إلى الأمانى الحزينة، ففي قصيدة بعنوان "أنا أيضا" يقول:

أنا أيضا أغني أمريكا،

أنا الشقيق الأسود يرسلونني إلى المطبخ

لأتناول طعامي، حينما يأتي الضيوف.<sup>3</sup>

ومع حلول الخمسينات، بدأ شعره يبدو أكثر غضبا، في قصيدة "هارلم"، التي يبدو فيها وكأنه يحذّر مجتمع البيض من انفجار عنف السود للحصول على العدالة الاجتماعية:

"ما لذي يحدث لحلم مؤجّل؟/ هل يجفّ مثلما جفّ الزبيب في الشمس؟

أم يفسد مثلما القرع؟/ أم إنه ينفجر؟".<sup>4</sup>

كما نجد نبرة الحدة والغضب والتَّحذير في قصيدة "تحذير"، التي يقول فيها:

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 87.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 90.

<sup>3</sup> وجه أمريكا الأسود.. وجه أمريكا الجميل: مختارات الأفرو أمريكي، تر: احمد الشافعي، ص 109.

<sup>4</sup> بيتر هاي: موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ص 271.

الزوج، ودودون مطيعون/ متواضعون لطفاء،

احذروا اليوم الذي يعدلون فيه عن رأيهم.<sup>1</sup>

وكثيرا ما نجده يطالب بالعدالة في قصائده، فيتجلى ذلك في قصيدة "حسرة أمريكية" و"العدالة"، حيث يقول: ندرك نحن السود أن العدالة إلهة عمياء،/ عصابتها تخفي دملين متقيحين، /لعلهما كانا ذات يوم، مقتلين.<sup>2</sup>

كما كان يحلم بنيل الحرية لبني بشرته، فكثيرا ما تغنى بها، حيث يقول في قصيدة "كلمات مثل الحرية: ثمّة كلمات مثل الحرية، / حلو وعذب نطقها على قلبي كلّ يوم،

تغني الحرية كلّ يوم.<sup>3</sup>

كما أكدّ اعتزازه بانتمائه الأسود الزنجي، على نحو تحقيري من جانب البيض، في قصيدة "يتحدّث الزنجي عن الأنهار"، يقول:

"لقد عرفت الأنهار،

عرفت الأنهار القديمة قدم العالم والأقدم من تدفق الدماء البشرية في العروق البشرية  
سبحت في الفرات حين كانت مطالع النهار شابة،

بنيت كوكي قرب الكونغو وهددني لأنا.

نظرت إلى النيل وأقمت الأهرام فوقه

سمعت المسيسيبي حين ذهب أبراهام لنكولن

إلى نيو أورليانز، ورأيت صدره الطيني يتحول ذهبياً عند الغروب.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> وجه أمريكا الأسود..وجه أمريكا الجميل: مختارات من الشعر الأفروأمريكي، تر: أحمد الشافعي، ص106.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص104.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص101.

<sup>4</sup> سعد البازعي: لغات الشعر، قصائد وقراءات، ص191.

يعلن "هيوز" في قصيدته هذه انتماءه ليس إلى أفريقيا السوداء فحسب، وإنما أيضا إلى شمال أفريقيا، مصر تحديداً، بموروثها الحضاري الضخم. فهو الكونغولي والمصري، نهر الكونغو لكنه في الوقت نفسه وريث المسيسيبي، فهو هنا يؤكد الشق الحضاري للعالم القديم (أفريقيا).

كما نجد "هيوز" قد تحدث عن كبرياء العرقية والثقافية، ليدخل في خطاب قلق إزاء المجتمع المحيط، في قصيدة "موضوع للانجليزي ب":

"قال المعلم، اذهبوا إلى بيوتكم،/ واكتبوا الليلة صفحة /دعوا تلك الصفحة تنبع من داخلكم...أنا في الثانية والعشرين، ملون، ومولود ونستون سالم/ ... جئت هنا إلى هذه التلة فوق هارلم/ أنا الطالب الوحيد في الصف.."<sup>1</sup>

هنا نجد إشكالية اللون، لون الصفحة البيضاء مقابل لون الشاب الذي يشير مرتين إلى أنه ملون، كما نجد الشاعر يستحضر المكان (هارلم) بوصفه جزء من الهوية، لأن (هارلم) مكان الملونين، ثم يكمل "هيوز" قصيدته: لا بأس، إنني أحب أن أكل وأنام وأشرب وأعشق،/ أحب أن أعمل وأقرأ وأتعلم وأفهم الحياة.<sup>2</sup>

يضع "هيوز" نفسه أمام مفارقات التمييز العنصري، وفي الوقت نفسه يؤكد على إنسانيته البسيطة، كما يصل إلى حد إدانته المجتمع والحضارة التي تغذيه.

يكمل قصيدته: "أحب أن يهدي إليّ غليون في عيد الميلاد، أو أسطوانات بيبي وبوب أو باخ."<sup>3</sup> أراد الشاعر هنا أن يصل إلى مرحلة الترف، حيث إن الاحتفاء بعيد الميلاد وتقديم الهدايا من الممارسات الأرستقراطية، كما أن الاستماع إلى الأسطوانات، هو تأكيد على الذوق الرفيع، وهنا يجدر الإشارة أنه أشار إلى ثلاثة ألوان من الموسيقى في الولايات

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص193.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص196.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص197.

المتحدة، ف"بيسي" هو اسم مطربة أفرو أمريكية، من مطربات "البلوز"، و"بوب" تشير إلى موسيقى "الجاز"، أمّا "باخ" معناها الموسيقار الألماني "يوهان باخ"،<sup>1</sup> فهنا نجده يؤكد هوية حضارية رائعة، فقد ذكر نوعين من الموسيقى الأفروأمريكية، وواحدة فقط من البيض، ما يعني اعتزازه بموروثه الأفريقي، دون إهمال للموروث الأبيض.

هكذا استطاع "هيوز" أن يطرق موضوعات شائكة وشائعة في المجتمع الزنجي الأمريكي، من خلال قصائده التي تميّزت بتنوّع أفكاره، من خلال تصويره للرق القديم، وتعبيره عن مأساة الزواج ومعاناتهم وقلقهم حيال الرّجل الأبيض، مطالباً باسترداد مكانة الأسود في مجتمعه، وبعдалته وحرّيته، ولهذا جاءت أعماله مشحونة بالغضب والحزن والسلم في الوقت ذاته، كما عبّرت عن انتمائه الأفريقي واعتزازه بموروثه الأسود.

وهكذا أصبح "هيوز" واحداً من أهم الشعراء الأفروأمريكيين، حتّى قال عنه الشاعر "بالدوين": "كلّما أقرأ لانغستون هيوز تذهلني من جديد مواهبه الأصيلة".

### 3. العناصر الأسلوبية والخطابية للثالث الإفريقي:

كان الشعر ولا يزال أداة التّعبير الأولى، التي يتمكّن الشاعر من خلالها التّعبير عمّا يجيش في نفسه، وفي هذا التّعبير تمتزج مجموعة من العناصر، تتمثّل في الأفكار والعاطفة والخيال، وهذا الأخير مهم في رسم الصورة التي تعبّر عن مشكلات الحياة، فيضيف لها أشياء لكي تبدو الصورة مؤثّرة ومعبرة.

وكثيراً ما نجد شعر "الفيتوري" متميّزاً من الناحية الفنية بالصّورة الشعرية النابعة من تجربته المؤلمة، عبر انفعال جبار، يستطيع أن يتحكّم في نسيجه اللفظي عن وعي واضح،<sup>2</sup> فالصور عند "الفيتوري" تشكّلت بتشكّل مراحل وتجاربه الشعرية، فاعتمد في البدايات

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص198.

<sup>2</sup> ينظر: عباس صبحي: الصورة في الشعر السوداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، (د.ط)، ص65.

الشعرية على الأساليب البيانية المألوفة من تشبيه واستعارة، وعلى بعض التراكيب التي تلفت النظر لغرابتها، في اطار الصور القديمة.

وبعد تطوّر شعره اختفت الصور الخيالية التي اشتهر بها "الفيتوري"، حيث كان يحمل الصورة رموزا صوفية وأخرى أسطورية يعبر من خلالها عن احياءات كثيرة أغنته عن الاسترسال في الوصف، حيث أنه يوشي أعماله بصور، تكثر فيها الرموز ذات الأبعاد النفسية العميقة،<sup>1</sup> ففي قصيدة "ثرثرة برجوازية"، يكشف الشاعر بتعبيرية واضحة، تميّز جمالها بوضوح الفكرة والرؤية وبساطة التعبير، التي تعبر عن الصراع الطبقي في مجتمعنا يقول: **مطرٌ وضباب ثلج في الخارج، والعربات تتلوى في وحل الطرقات،/... والمناكير، وتمط الدهشة أوجههن المصبوغة/ والريح تولول جائعة في الخارج عبر السور<sup>2</sup>**

ثم أصبحت الصورة في شعر "الفيتوري" كالحلم، وكثيرا ما تتكئ على الرموز الصوفية، فوصلت الصورة عند "الفيتوري" إلى تخوم استدعاء واستيحاء التراث الانساني، فيعمل على استدعاء الشخصية التراثية ويحول مناقشتها من خلال الحوار، وذلك من أجل التّواصل بين التراث والواقع المعيش، فيقول:

**لا تعجب يا ياقوت الأعظم/من قدر الانسان هو الانسان /القاضي يغزل شاريه لمغنيّة الحانة/ وحكيم القرية مشنوق.<sup>3</sup>**

ف"الفيتوري" ميّزه الهروب من الواقع القبيح إلى عالم السّموّ المطلق، يهرب إلى حياة الفقراء الصوفيين، فهذه الرؤية المخزّنة كفيّلة في أن تدفعه إلى حياة التّصوّف الدّيني.

<sup>1</sup> محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، (د.ط)، ص65.

<sup>2</sup> الفيتوري: أذكريني يا إفريقيا، مج1، ص272-273.

<sup>3</sup> الفيتوري: المعزوفة، مج1، ص507-508.

نجده أيضا يلجأ إلى استخدام الرموز للتعبير، فالمصطلحات الصوفية أصبحت رموزا تعبيرية تحمل الكثير من الدلالات الروحية والدينية والثورية،<sup>1</sup> تعبّر عن الواقع بكل حرية، عبر تعابير غير مألوفة، وذلك لمعالجة قضايا الواقع.

والصورة عند "الفيتوري" واضحة لأن عناصرها معروفة، ولأنه يستعمل أدوات الربط، ومن هنا، هو لا يقدم لنا صورة جميلة فقط، وإنما صورة تبني المعنى.

ونجده يلتقط صوره في لحظة التحرك، ويمزج فيها الانسان والطبيعة، ويثيرها بالعديد من الحواس، حين يقول: يا لومومبا/ في قلبي أنت/ البطل الأسود ذو القدمين العاريتين/ الراكضين على نهر الكونغو/ كانت تركض خلفهما أشجار الغابات/ كان تتهدج لهما أنفاس الظلمات/ كانت أمواج الكونغو.. / توغل في الركض.<sup>2</sup>

والصورة عنده لا تركز على المحسوسات فقط، لأنه يجسم المعاني، فيتترك للقارئ جانبا من التخيل فيقول: "ويحفز نهر الألم/ في صخور الجبال/ وعلى الأفق جواد أسود/ يتوهج نورا حيث سرى/ ويموج الصدى في شعاب الجبال".<sup>3</sup>

وإذا بحثنا في مادة الصورة الشعرية التي يستمد منها "الفيتوري"، وجدناها تتمثل في: الحياة الافريقية، وفي تجربة الانسان العربي مع انكسارات الأمة العربية، وفي المفردات الكونية، وفي عالم التصوف.

كما نجد بأن "الفيتوري" له المقدره على كتابة القصيدة في كلا القالبين: العمودي- الحر، فعندما يكتب القصيدة العمودية يبدو متمكنا للغاية، ومسيطرًا على أدوات النمط الصعب، من خلال اختياره للبحور الصعبة،<sup>4</sup> كما أخرج هذه القصيدة من الجمود والرتابة.

<sup>1</sup> مدحت جيار: الأدب العربي وتعبيره عن الوحدة، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 1989، ط1، ص65.

<sup>2</sup> الفيتوري: الأعمال الكاملة، مج1، قصيدة "لومومبا والشمس والقتلة"، ص414.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص414.

<sup>4</sup> حامد الطاهر: محمد الفيتوري، ص39.

أمّا الشعر الحر، فقد استخدمه "الفيتوري" بحذر شديد، حيث ينبع تلقائياً من النموذج العمودي، كما يتميز بحرصه على موسيقى الوزن التي تستجيب لمضمون كل قصيدة على حدى، أما القوافي فهي غير غائبة تماماً بين الحين والآخر، لتحدث ايقاعاً موسيقياً متناسقاً. كما نجد بأنه يعمد إلى إيهام القارئ بتوزيع القصائد العمودية بحيث يأخذ تشكيلة القصيدة القائمة على التفعيلة، وهذا ما نلاحظه في قصائد: أغنية إلى السودان، نكروما، الندم، سرعان ما أنسى، أغنية في الضوضاء، حصاد شعب..

إضافة إلى أننا نلاحظ زيادة الحدة في الشعر الجديد من حيث الإيقاع على الشعر القديم لتكرار التفعيلة الواحدة، والشاهد على ذلك ديوان "عاشق افريقية"، فصوت الشعر الحر فيه يرتفع على صوت الشعر العمودي.

وما يمكن ملاحظته أن التجربة الشعرية "الفيتوري" تنوّعت تنوعاً لافتاً، حيث أنه عاصر الأجيال الشعرية المتنوّعة، بين القصيدة العمودية والشعر الحر، فاستطاعت قصيدته أن تبعد لنفسها مساراً خاصاً، وهذا ما وجدناه واضحاً في دواوينه.

أما "سنغور" فلا شكّ بأنّه كان شاعراً عالي المقام، كما تعكسه دواوينه، ومن حيث التّصنيف فالنقاد يقدّمونه بوصفه منتمياً إلى المدرسة الرّمزية،<sup>1</sup> وينطوي شعره على الخاصية الغنائية، وقد تُرجم شعره إلى اللغة العربية، وغيرها من لغات العالم.

كما نلاحظ بأن أعمال "سنغور" الأدبية والفكرية، أخذت أشكالاً متنوعة من حيث الشكل والمضمون، حيث أسهم في توليد تعابير لغوية تلائم، القوميات المختلفة من أجل خلق جمهور عريض، حيث نجد أن الخطاب الشعري السائد في ديوانه "قصائد مفقودة"، قام بعملية تجريب تحطّم القالب والقافية، ولعبة متناهية الدقة باللّغة، ويكشف عن تناص وتأثر بالشاعرين "شارل بودليير" و"لانغستون هيوز".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمد سعيد باه: ليوبولد سنغور صراع السياسة، الفكر والدين وراء قناع الشاعرية، ص7.

<sup>2</sup> ينظر: علوي طه الصافي: رئيس جمهورية وشاعر الزوجة، العدد53.

كما اهتمَّ بهمةٍ إحياء الأسلوب الزوجي المشبع بالطَّرَافَة والفتازيا، وطابعه المأساوي والنَّشدي والرثائي،<sup>1</sup> وما تبينَ بأنَّ هذا الأسلوب هو سليل الشعر الافريقي الشفوي الذي تأثر الشاعر به، كما أنه حمل أعلى اللغة الفرنسية التي كتب بها بعض المفردات والتراكيب والصور والمجازات التي لم تعهد لها هذه اللغة، والتي هي من صميم الثقافة الافريقية، عن طريق النَّحت أو التَّرجمة أو ناقلاً إيقاعها لفظاً وصدى، فعَدَّ الأسلوب الزوجي كإيثار الكتابة أو المجاز المرسل، استحسان الإيجاز، إعتقاد التجاوز والتكرار..

من خصائص الكتابة عند "سنغور" الإيقاع، الذي يستخدمه إمَّا عبر إعتقاد اللغة الإيقاعية الفرنسية، أم عبر استيحاء الإيقاعات الافريقية المتعددة التي ظلَّت تصخب في ذاكرة الشاعر.<sup>2</sup>

نجد في بعض القصائد يسمي بعض الآلات الموسيقية الافريقية، وكأنه يعمل على إستدعاء إيقاعاتها، أنفاسها، وضرباتها داخل اللغة الفرنسية نفسها، فهو شاعر القصيدة الانسانية، والمراثي والمآسي، شاعر الطرافة والهجانة، كما اعتمد على الطبيعة الفنية،<sup>3</sup> أي الاحساس بجوانب الحياة المختلفة، والتي تجعل فن الشعر جزء من حياته، أو أن تكون حياة الشاعر وفنّه شيئاً واحداً.

كما حلَّت الصورة الشعرية التي يصرُّ على استخدامها "سنغور" بطريقة فريدة، وارتكز مفهومه للصورة على اكتشاف قدرات الكلمة الشديدة الحضور، في حضارة قائمة على الشفوي، وفي هذا الصدد يقول: "الكلمة في اللغة الافريقية هي أكثر من صورة، إنها تماثلية لا تحتاج إلى المجاز أو التَّشبيه، ويكفي أن يُشفي الشيء حتَّى يتبدَّى المعنى تحت العلامة، فكل شيء هو معنى وعلامة في الحين نفسه بالنسبة للزوج الأفرقة".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ينظر: محمد عبد الغني السعودي: قضايا افريقيا، ص209.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد عثمان خالدة،: قراءة في تطور تاريخ العلاقات الافريقية، دار الصحافة، بغداد، 2012، ص312.

<sup>3</sup> عقل العويط: سنغور شاعر التهجين وديناميكية الهواء، مجلة جبهة الشعر الالكترونية، العدد45، جانفي 2002.

<sup>4</sup> ينظر: علوي طه الصافي: رئيس جمهورية وشاعر الزوجة، العدد53.

رَكَزَ الشاعر أيضا على استعمال ضمير "الأنا" المتكلم، وهذا لإبراز قوة شخصيته، وهذا ما يلاحظه في قصائده المختلفة: أخي الأبيض العزيز، امرأة سوداء، إلى توكو والي، ... وغيرها، ليثبت هويته دون خجل، ومن ذلك: وُلدت، كبرتُ، سَأموت، ها أنا، حزني، وتركت ليلتي، وغيرها من العبارات التي توحى بوجود الشاعر وحضوره القوي في قصائده.

شعره بسيط، لكنه عميق؛ وهو يتسلل إلى كثافة الكائنات والأشياء ليشارك في أسرارها وتحولاتها، مستعينا بالسحري والرمزي.

حاول "سنغور" بلوغ الذروة في الشعر، فأولى اهتمامه للإيقاع لتقارب الشعر، والموسيقى، فتغنّى بسواده، وأضفى عليه صفة الحكمة والجمال، فجمع بين العقل والعاطفة.

أما بالنسبة لـ "هيوز"، فقد تميزت كتاباته الشعرية بوصفه المشحون بالاعتزاز للمواطنين السود، فيعتبر من أعظم الزوج المعاصرين، فقد اكتسب هذه العظمة من خلال أسلوبه وموضوعه، كما قد تميّزت قصائده بالروعة والبساطة والسلالة،<sup>1</sup> فهي صادقة لأنها تخرج من صميم قلبه.

أجرى تجارب على الوزن الشعري أو الإيقاع الشعري، مستخدماً إيقاعات وأوزان موسيقى السود في شعره، فنلمح في أشعاره بعض تجاربه مع إيقاعات "الجاز" و"البلوز" الموسيقية السوداء، فنجده يهتم أكثر بانتاج وتقديم الصور الموسيقية النابعة من موسيقى الجاز السريعة الحركة أكثر من اهتمامه بإعادة انتاج وتقديم إيقاعاتها في قصيدة "تغيير حلم"، فيقول:

أرقص! دُر! دُر! حتى يمضي اليوم سريعا/ الليل يأتي رقيقا/ أسود مثلي.<sup>2</sup>

ونظرا إلى أن شعر "هيوز" ينطوي على نبض إنساني، أدى إلى اهتمام الشعراء والمترجمين العرب بقصائده، فقد صدرت ترجمات كثيرة له بعضها في كتب وبعضها الآخر

<sup>1</sup> خليل شطا: أضواء على الأدب الإفريقي، ص 86.

<sup>2</sup> بيتر هاي: موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ص 270.

على شبكة الأنترنت، مبيّنة جوانب من سيرته الرمزية، فبيّنت هذه الترجمات مدى حضور "هيوز" في النسيج الثقافي العربي.

إنّ القارئ لـ "هيوز" يشعر ببساطة في تركيب جملة وسلاستها، وبأنّ شعره يعتمد على البساطة والأداء والموضوع، واللافت فيه حبه لموضوعه من دون افتعال من صورته ومعانيه وموقفه وشعره، ومع ذلك تنطبق عليه صفة السهل الممتنع، فمن خلال عناوين قصائده نلاحظ قوة شاعريته.

أكد المترجمون بأن شعر "هيوز" يمتاز من الناحية التقنية بقصر جملة وقوتها، وشعره دائماً يثير الخيال الانساني، ويهمس بصورة جميلة تارة وبشعة تارة أخرى، لكنّه يؤدّيها بشيء من الفهم وحتىّ العطف، فيعتمد في ذلك على موسيقى ساحرة.

كما اعتمد في تجربته الشعرية على اللّغة العامية التي يمتاز بها الزنوج، فاستمدّ أشعاره من أغاني الزنوج الحزينة، فرأى بأن الأشكال الموسيقية هي التّعبير الأصيل والمتعمّق عن الفنّ الذي تبذعه الجماعات السوداء،<sup>1</sup> ويظهر هذا جلياً في أولى مجموعتين له، هما: "البلوز الحزينة" 1923، و"ملابس فاخرة إلى اليهودي" 1927.

وتميزت قصيدة "يتحدّث الزنجي عن الأنهار" من الناحية الشكلية بقدر واضح من التناغم بين الشكل والمضمون، بين الأسطر الشعرية التي يغلب عليها الطول وموضوعة الأنهار، فالملاحظ هو أن الشاعر يمد الأسطر ثم يقصر ذلك في بعض المواضع، وهو هنا يذكر بتعرجات الأنهار بين الامتداد الطولي والانتساع حيناً وضيق المجرى حيناً آخر.<sup>2</sup>

نخلص إلى أن شعر "هيوز" شعر راق وبسيط وواضح، تقرؤه جميع الطبقات الاجتماعية، شعر هادف حامل لرسالة، شعر جعل من "هيوز" رمزاً أدبياً بالنسبة إلى السود،

<sup>1</sup> عادل الزبيدي: لانغستون هيوز، خمس قصائد، مجلة إيلاف الالكترونية، العدد 6142، لندن، 21 مايو 2001.

<sup>2</sup> سعد البازعي: لغات الشعر، قصائد وقراءات، 192.

حتى أطلق عليه البعض شاعر الشعب الأمريكي، وهو اليوم يعتبر شاعر الزوجة، ولا يزال شعره يُقرأ ويُحفظ من قبل مترجميه ومحبيه وعشاق قصائده.

من خلال دراستنا للثالث الإفريقي المختلف في الثقافة، المتحد في الهدف وفي الرسالة وفي التجربة الشعرية، "الفيتوري" (السودان)، "سنغور" (السنغال/فرنسا)، "هيوز" (أمريكا)، نستنتج بأن هذا الثالث قد مثل القضية الزوجية وأوصل صوتها إلى العالمية، بعدما كان جل الشعر الزوجي أسير الماضي، وأسير القيود البيضاء، وتحت وطأة سيطرة الفن الأبيض، فشغلت قضية الزوجة ذاكرة وخيال ممثليها، فقاموا بثورة فنية شعرية هدفها التطلع للمستقبل بثقة وتفاؤل، والتأمل في قضايا الواقع والحاضر والتكيف مع هذا الواقع المعاش، لذا كان هدفهم البحث عن الذاتية والتأكيد على جذورها الإفريقية، وعلى الهوية الزوجية، فتناول الشعراء مواضيع تتمحور حول العبودية، والعنصرية، والقمع، والتفرقة العرقية، بل لجأوا إلى استعمال الرموز من أجل التعبير بحرية، فكان هذا التعبير عن الألم والشدة أحيانا، وعن السلم والحنين أحيانا أخرى.

كما لم يغب عن ذهن هذا الثالث اختيار اللغة، وأهميتها، من حيث قدرتها التعبيرية عن الموروث الحضاري، فجاءت لغتهم رصينة، تمتاز بالجودة والفخامة، والبساطة والوضوح، في حين لجأ البعض إلى اللغة الرمزية، وهذا ما وجدناه في شعر "الفيتوري" بكثرة، وفي شعر "سنغور" و"هيوز" بقلة.

هكذا استطاع هذا الثالث تحقيق مكانتهم في ثقافتهم المختلفة، وفي حسن التعبير عن قضيتهم وهويتهم السوداء.

خاتمة

لابدّ لكلّ بحث من خاتمة تجسّد وتلخّص ثمرة الجهد المبذول فيه، وبعد أن تمّ -بعون الله- البحث في موضوع المذكرة الموسوم ب: "أسئلة اللون والثقافة، دراسة مقارنة في الأدب الزنجي"، خلّص البحث إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يلي:

(1) أنّ الأدب الإفريقي هو مجال واسع وواعد، يغري بالدراسة والمعالجة، وأنّ تجاوز الحجاب الأيديولوجي، والتعاطف مع منجزه كفيلاّن بأن يغنيا درس النّقد المعاصر، بما يعيد لأدب هذه القارة المنسية مكانته المناسبة في الدراسة النقدية خاصة، وموقفه المستحق ضمن الآداب العالمية.

(2) أنّ هذا الأدب قد كُتب في مضامينه الأصلية، وفي الغالب، بلغات أجنبية، هي أساسا لغة المستعمرين، ورغم أنّ ذلك يمثّل إشكالية محلية مستقلّة، إلاّ أنّ القول بأن لغة الأجنبي هنا، وهي سلاح من أسلحته الثقافية، قد ارتدّت عليه، فأصبحت سلاحاً للمقاومة في يد الأديب والشاعر الإفريقي.

(3) استطاع الأدب الإفريقي التخلّص من دائرة العبودية لآخر "الأبيض"، وأن يفرض رؤيته وجمالياته، بأقلام إفريقية أبت إلاّ أنّ تحافظ على الذهنية الإفريقية، رغم آليات نشرها الغربية.

(4) ظهر بين عهدي الاستعمار والاستقلال شعر إفريقي حديث، يُدافع عن الزنوجة بأشعار إفريقية النكهة، يعبر عن الشعور باليأس والألم والغريبة والمقاومة والحنين إلى الأوطان، والأمل في غد إفريقي أفضل.

(5) قصة الأدب الزنجي هي قصة شعب عانى ويلات العبودية والحرمان والفقر، اقتلع من جذوره وثقافته العريقة الإفريقية، فاقد للانسانية، مشنّت الكيان والذات، محروما من لممارسة الحياة، إلى أنّ برزت من ثقافته أمة شاعرة وناقدة، لتعيد إليه بريق الأمل من أجل استرجاع انسانيته.

(6) الزنوجة "LA NÉGRITUDE"، هي كلمة تطلق على ذوي البشرة السوداء، أما كمصطلح أدبي يقصد بها تلك الأعمال الأدبية والخصائص الأسلوبية واللغوية التي تميّزت

بها كتابات الزوج، والتي كانت تعبر عن رفضهم لسيطرة البيض على الجنس الأسود وطمس هويته وشخصيته.

(7) كان المصطلح (الزوجة) في البداية عبارة عن حركة سياسة صرفة، ثم تحوّلت إلى ثورة ثقافية، فظهر اتجاه الزوجة بحركتها الفنية والسياسية، وانضوى تحت راياتها عدد كبير من الزوج المثقفين على رأسهم: "إيميه سيزار"، "ليوبولد سيدار سنغور"، "داماس".

(8) رغم مسيرة الأدب الزنجي الحافلة بكثير من المحطات، إلاّ أنّه جاء في البداية واستمرّ لفترة معتبرة كردّ فعل على الفلاسفة الذين فنّدوا فكرة وجود أدب زنجي، بل وأكّدوا عدم امتلاك الكاتب الزنجي للقدرات الفكرية التي تسمح بالابداع وعلى رأسهم الفيلسوف "هيغل"، فكان عيّنة من مجموع الدارسين الرافضين للأدب المعبر عن الانسان الأسود.

(9) كانت عمليات التّصفية التي قامت بها المنظّمات الأخوية الأمريكية من بينها "كوكلوكس كلان"، إلى جانب الخلفية العدائية والاستعلائية المستندة إلى فكرة أفضلية البيض، وتميّزهم العرقي والثّقافي من الأسباب التي أدّت إلى ميلاد وعي زنجي حاول أن يوضع الوجود الزنجي في إطار حركة ثقافية وفنيّة.

(10) بدأ النّضال على الصّعيد الأدبي في أمريكا من خلال إصدار مجموعة من المؤلّفات لمجموعة من المؤلّفين منهم: "دوبويس"، "بولدوين"، و"جون تومر".

(11) أصبحت مدينة "هارلم" أكبر مدينة زنجية في العالم، حيث استقطبت مجموعة من رواد الفكر والفنّ، ومثّلت الظاهرة المعروفة ب: نهضة هارلم، ازدهار حركة الزنجي الجديد في الأدب والمسرح، والسينما.

(12) انتقلت الحركة الزنجية إلى باريس لتعلي صوتا كان خافتا، وهذا الصوت رسمته بأدب حناجر إفريقية زنجية مبدعة، وبنبرة شديدة استطاع هذا هذا الصوت أن يرفع راية الحق في وجه المظالم الانسانية.

- (13) أطلق "إيميه سيزار" مصطلح الزنوجة لأول مرة كدعوة احتفالية بالزنج والثقافة الزنجية، فكان مشروع الزنوجة مشروعاً ثقافياً بالدرجة الأولى، يسعى لرفض صفة التَّمركز لأي جنس محدّد في العالم.
- (14) أصبحت حركة الزنوجة فخراً بالنسبة لكثير من الأفارقة، فوصل صدى هذه الحركة إلى معظم الدُّول الإفريقية.
- (15) طرح أدب الزنوجة مجموعة من القضايا والأسئلة نذكر منها: العنصرية والتّفاوت العرقي، العودة إلى الأصول والتراث والفلكلور، المطالبة بالحرية والمساواة، العرقية، العبودية والرق، والهوية.
- (16) يعدُّ "الفيتوري" من الشعراء المعاصرين الذين حاولوا إثبات ذاته تأكيد هويته التي تتازعتها هويتان، الزنجية من جانب والعروبة من جانب آخر.
- (17) يعتبر الوضع الاجتماعي الذي فُرض على الشاعر "الفيتوري" منذ طفولته، إضافة إلى سواد بشرته سبباً رئيساً لصوغه وطناً وهمياً يتّسق ولون بشرته وأحاسيسه، فكانت إفريقيا ذلك الوطن الذي ينشده الشاعر.
- (18) أراد "الفيتوري" في حديثه عن الزنوجة أن يضمّد جروح الدّات الزنجية السوداء، وذلك بإيصال القضية للعالمية والتّعريف بها، والتعبير عن تقاليدها وثقافتها وتاريخها.
- (19) عرفت المسيرة الشعرية "للفيتوري" ثلاث مراحل: الزنجية، ثمّ الصوفية حين تجاوز قضايا الواقع، وأخذ خلاصاً آخر يحقق فيه ذاته، فوجد ذلك في التّعبد الصوفي، ثمّ النضالية العروبية، بتناوله قضايا الوطن العربي.
- (20) تارّ الشاعر "الفيتوري" بكل من الشاعر "سنغور"، والأمريكي "لانغستون هيوز".
- (21) يعدُّ الشاعر "سنغور" الفيلسوف والأب الروحي لحركة الزنوجة، حيث عشق إفريقيا وعمل على إعادة التّباهي بها، عن طريق شرح عاداتها وتقاليدها.

- (22) الزنوجة عند "سنغور" هي حركة تنموية، فمقصده بالزنوجة القيم الدائمة للحركة الزنجية والروح الجماعية واحترام القيم الانسانية.
- (23) تأثر "سنغور" بالشاعر "لانغستون هيوز" من الناحية الشكلية والموضوعية.
- (24) يعدُّ "هيوز" من الشعراء المهيمنين في الأدب الأفروأمريكي، تميّز شعره بالتعبير عن وعي السود واحساسهم بكرامتهم تحت وطأة التمييز العنصري.
- (25) حاول "هيوز" بناء تصاور زنجي جديد بالاعتماد على الميثولوجيا السوداء، فقام باستغلال الفلكلور الزنجي وتمكانات اللهجة الزنجية، والأغاني الافريقية مثل: "الجاز" و: "البلوز".
- (26) عالج كلُّ من "الفيتوري" و"سنغور" و"هيوز" موضوع الافريقية، والدفاع عن الحقوق الانسانية للانسان الأسود، والدعوة إلى الحرية وتحقيق المساواة بين جميع الأجناس في العالم.
- (27) أخذت الأعمال الأدبية للثالث الإفريقي أشكالاً متنوّعة من حيث الشكل والمضمون، ورغم هذا التنوّع، إلا أن الهدف كان واحدا وهو: إعلاء الصوت الزنجي.
- هذه على العموم أهم النتائج التي توصلّ لها البحث، وتبقى هذه النتائج نسبية قابلة للتعمق والدراسة من زوايا مختلفة، ولكنّها تعتبر محاولة متواضعة في درب الدراسة المقارنة، وفي موضوع شبه مغيب عن الساحة النقدية العربية.
- وأرجو أن يكون هذا البحث قد أجاب على بعض الإشكاليات المتعلقة بأدب الزنوجة، وإزالة الغموض، وإيصال الفكرة، وأن يكون محفزاً من أجل تغطية هذا الموضوع لاحقاً.
- هناك دعوة ملحة يطرحها علينا كمغاربة انتماؤنا إلى القارة الإفريقية، أن نولي وجوهنا شطر أدب هذه القارة، لا وفق رؤية ايديولوجية وانتماءات جغرافية فحسب، بل لأن الأدب الإفريقي هو من الفنّ والخصوبة بما يتيح للناقد المغاربي خصوصا أن يكتشف فيه مناطق فنية وجمالية جديدة.

# قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ط3.
2. محمد الفيتوري: ديوان: أغاني إفريقيا، المجموعة الكاملة، دار العودة، بيروت، 1972، ط1.
3. محمد مفتاح الفيتوري: ديوان "عاشق من إفريقيا"، المجموعة الكاملة، دار العودة، بيروت، 1972، ط1.
4. محمد مفتاح الفيتوري: ديوان "ويأتي العاشقون إليك"، دار الشروق، القاهرة، 1992، ط1.

ثانياً: المراجع

(1) الكتب العربية:

1. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (أبو منظور): لسان العرب، دار صادر، ج7.
2. أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ج4، ط1.
3. أحمد عثمان خالدة: قراءة في تطور تاريخ العلاقات الإفريقية، دار الصحافة، بغداد، 2012، (د.ط).
4. إدريس البخاري: ألوان الأدب الأسود، مكتبة جمعية البيت للثقافة والفنون، 2009، (د.ت)، (د.ط).
5. أدونيس: الثابت والمتحول، دار الساقي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2011، ج1، (د.ت)، (د.ط).
6. ألف ليلة وليلة، دار صادر، بيروت، (د.ت)، (د.ط)، نقلا عن: ماجدة حمود: صورة الآخر في ألف ليلة وليلة، مجلة جامعة دمشق، العدد 2+1، مج2، 2011.
7. حامد طاهر: محمد الفيتوري، سلسلة شاعر ومختارات، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت)، (د.ط).

8. حسن عباس صبحي: الصورة في الشعر السوداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، (د.ط.).
9. خميسي بوغرارة: النقد الأدبي الزنجي الأمريكي، خصائصه وجمالياته، الأوعية للنشر والتوزيع، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، 2013، ط1.
10. رضوان عاشور: الرواية في غرب افريقيا، دار بن رشد، القاهرة، 1975.
11. سعد البازعي: لغات الشعر، قصائد وقراءات، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2011، ط1.
12. سعد البازعي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ط3.
13. سعيد محمدي: محمد الفيتوري، صفحات من سيرة مجهولة، دار العودة، بيروت، 2008، ط1.
14. شريل داغر: انطولوجيا الشعر الزنجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، 1998، ط1.
15. شيخ أنتاديوب: الأصول الزنجية للحضارة المصرية، دار المعارف للنشر، عمان، الأردن، (د.ت)، ط1.
16. شريل داغر: ترجمة أشعار سنغور، سلسلة إبداعات عالمية، الكويت، 2002.
17. عامر حامد الربيعي: الهوية الثقافية لما بعد الكولونيالية، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ط1.
18. عبد الله ابراهيم: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزية الثقافية، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ط1.
19. عبده بدوي: الشعر الحديث في السودان، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية، 1962، (د.ت)، (د.ط.).
20. عبده بدوي:

21. علي عبد الأمير صالح: نساء في الأدب، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، 2011، ط1.
22. علي شلش: الأدب الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993.
23. فايز الداية: جماليات أسلوب الصورة الفنية، دار الفكر، 1996، مج2، ط1.
24. القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى، الأميرية، مصر، 1304هـ، ج4، (د.ط.).
25. فيصل السامر: ثورة الزنج، دار المدى للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2007، ط2.
26. مجمع اللغة العربية: المجمع الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ط4.
27. مجموعة من المؤلفين: الزنوجة، الموسوعة العربية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999، مج10، ط2.
28. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، (د.ط.).
29. محمود أمين العالم: الثقافة والثورة، دار الآداب، 1970، ط1. مكتب الاسلامي، 1421هـ، 2002م، ج2، (د.ط.).
30. محمود أمين العالم: مقدمة ديوان أغاني إفريقيا، دار العودة، بيروت، (د.ت)، (د.ط.).
31. محمود ذهني: سيرة عنتر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1979، (د.ط.).
32. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)، ال مكتب الاسلامي، 1421هـ، 2002م، ج2، (د.ط.).
33. مدحت جيار: الأدب العربي وتعبيره عن الوحدة، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 1989، ط1.
34. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، القاهرة، 1991، ط3.

35. منيف موسى: الفيتوري شاعر الحس والوطنية والحب، دار الفكر اللبناني، 1985، ط1.
36. منيف موسى: مقدمة الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، (د.ت)، ط2.
37. نادر كاظم: تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ط1.
38. نبدي جوزي: من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام، منشورات دار القلم، 2006، (د.ط).
39. نواف مخلوف، طارق علوش: الزنوجة، الموسوعة العربية، مج 10، (د.ط).
40. وفيق خنسة: جدل الحداثة في الشعر، دار الحقائق، بيروت، 1985، ط1.

#### المراجع المترجمة:

1. آدم كوبر: التفسير الأنثروبولوجي، تر: تراجي فتحي، عالم المعرفة، الكويت، 2008.
2. أنيا لومبا: الكولونيالية وما بعدها، تر: باسل المسالة، دار التكوين، دمشق، سوريا، 2013، ط1.
3. بيتر هاي: موجز تاريخ الأدب الأمريكي، تر: علي حجازي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1990.
4. توني موريسون: اللهو في العتمة، البياض والمخيلة الأدبية، تر: توفيق سخان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2006، ط1.
5. توماس هايلاند اريسكن: العرقية والقومية، وجهات نظر أنثروبولوجية، تر: لاهاي عبد المحسن، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2012.

6. جونسن جايسمن والدين: كتاب الشعر الزنجي الأمريكي، في مختارات نورتن من الأدب الأمريكي الأفريقي، تح: هنري لوي جايتيس، منشورات نورتن وشركاؤه، نيويورك، لندن، 1997.
7. دوبيس: عقول السود البسطاء، في مختارات نورتن من الأدب الأمريكي الأفريقي، تح: هنري لوي جايتيس، نيللي مكاي، منشورات و.و نورتن وشركاؤه، نيويورك، لندن، 1997.
8. ديفيد كارتر: النظرية الأدبية، تر: باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، سوريا، 2010، ط1.
9. كاترين هالبرنا وآخرون: الهويات، والهوية، الفرد والجماعة والمجتمع، ثلر: ابراهيم صحراوي، دار التنوير، الجزائر، 2015، ط1.
10. كوبر واين: العودة إلى هارلم (كلود مكاي)، مرافق أوكسفورد في الأدب الأمريكي الأفريقي، منشورات جامعة أوكسفورد، 1997.
11. هيغل: محاضرات في فلسفة التاريخ، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة، القاهرة، 1986، (د.ط.).
12. وجه أمريكا الأسود.. وجه أمريكا الجميل: مختارات من الشعر الأفروأمريكي، تر: أحمد الشافعي، مر: جمال الجزيري، إش: جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، العدد 823، 2005، ط1.
13. يان فانيسنيا: المآثورات الشفاهية، تر: أحمد مرسي، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1990، ط2.
- المجلات والصحف والجرائد:**
1. الأديب السنغالي: ليوبولد سيدار سنغور، الأدب السنغالي، مندى المقالات الأدبية، والمكتبة الأدبية المتكاملة، 2013.

2. أبو هدايا ضو البيت حامد: الصورة الشعرية في شعر الفيتوري، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، سوريا، يوليو 2010.
3. أحمد بابانا العلوي: ليوبولد سيدار سنغور، مقاربة حول السياسة والشعر والاسلام، مجلة الشبكة العربية، العدد 140، 29 يونيو 2011.
4. أحمد ابراهيم دياب: إفريقيا بين المفاهيم الحضارية والممارسات العنصرية، مجلة بحوث في دراسات افريقيا، نصف سنوية، العدد 4، مارس 1989.
5. أحمد مرسي: قراءات في الشعر الأمريكي المعاصر، سلسلة الشعر، المركز القومي للترجمة، العدد 1440، 2010، ط1.
6. أنيس فهمي: مسرح الزوج في أمريكا، مجلة العربي، العدد 530، وزارة الإعلام، الكويت، 2003.
7. بابكر علي ديومة: قراءات في الأدب الزنجي المكتوب والمترجم إلى اللغة الفرنسية، مجلة أفريكان الإلكترونية، 27، أكتوبر 2016.
8. بايكن جاكين: تاريخ مجلة الحرية، دراسات في الثقافة والمجتمع، مجلة التاريخ الأمريكي الافريقي، العدد 1، مج88.
9. الحسن ولد مختار: أدب الزنوجة، الصوت يخترق جدار السوط، مجلة الإتحاد الإلكتروني، الخميس، 31 ديسمبر 2015.
10. حسونة مصباحي: إيميه سيزار، نح الآن واقعان..بلدي وأنا، مجلة الإتحاد الإلكتروني، 21 يناير 2017.
11. حمزة الملك طمبل: أدب الزنوجة، مكتبة عربي، العدد 154.
12. خليل شطا: أضواء على الأدب الافريقي المعاصر، نفحات انسانية سامية، وتعلق بالجنور الفاريقية، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 38-39، يناير، 1984.
13. رحمان شريف: العنصرية ضد السودان(8)، العنصرية أصل والتسامح فرع، سلسلة الجدران اللامرئية، مجلة الأوان، 20 يوليو 2003.

14. سليمان الأفنش الشراري: ليوبولد سيدار سنغور رائد الشعر السنغالي، مجلة صحيفة الإخبارية، طبرجل الرئيسية، العدد 30.
15. شاعر إفريقيا السوداني محمد مفتاح الفيتوري، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد 4، أبريل 2013.
16. الصادق محمد آدم: قضايا الأدي الإفريقي وتحدياته، قضية الزنوجة، مجلة سوندايل، أوت 2012.
17. عادل صالح الزبيدي: لانغستون هيوز، خمس قصائد، مجلة إيلاف الإلكترونية، العدد 6142، لندن، 21 مايو 2001.
18. عبده بدوي: عاشق من إفريقيا للشاعر محمد الفيتوري، مجلة شعر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر، 1976.
19. عبده وازن: شاعر الزنوجة والالتزام والرئاسة، جريدة الحياة، العدد 14159.
20. عقل العويط: سنغور شاعر التهجين وديناميكية الهواء، مجلة جبهة الشعر، العدد 45، جانفي 2002.
21. علوي طه الصافي: رئيس جمهورية وشاعر الزنوجة، المجلة الثقافية، العدد 53، الاثنين، 15 صفر 1425هـ.
22. غزلان هاشمي: تيار الزنوجة والقضاء على فكرة التمركز العرقي، مجلة الألوكة الثقافية، 2012/09/30.
23. FRANZ FANO; LES D'ANNÉE DE TERRE; ÉDITION LA DÉCOUVERTE/ PARIS; 2002. نقلا عن: دراسات ما بعد الكولونيالية من منظور أبرز أقطابها، مجلة إشكالات، العدد 9، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي، تمراست، الجزائر، 2016.

24. FRANZ FANON; PEAU NOIRE MASQUE BLQNS; ÉDITION DE SEUIL; 1952. نقلا عن: دراسات ما بعد الكولونيالية من منظور أبرز أقطابها، مجلة إشكالات، العدد 9، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي، تمنراست، الجزائر، 2016.
25. LÉO POLD SÉDAR SENGHOR; NÉGRITUDE; ARABITE+ FRANCTE; DAR ALKITAB; BETROUTH; 1969.
26. ليلا قاسمي حاجي آبادي: القومية في أشعار محمد الفيتوري، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، العدد 15، خرسف 1391هـ.
27. ليو بولد سنغور رائد الزنوجة، الشاعر الرئيس، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد 5، 25 مارس 2011.
28. ماجدة حمود: صورة الآخر في ألف ليلة وليلة، مجلة جامعة دمشق، العدد 1+2، مج 27، 2011.
29. محمدم سالم ولد الطلبة: الأدب الفارقي.. بوتقة الأدب العالمي، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد 8، نوفمبر 2013.
30. محمد السرغيني: الزنوجة في شعر الفيتوري، تح: حسن الغرقى، مجلة نزوى، 2015، (د.ط.).
31. محمد سعيد باه: ليوبولد سيدار سنغور.. صراع السياسة، الفكر والدين وراء قناع الشاعرية، مجلة قراءات إفريقية، 2016.
32. محمد سليمان محمد الفكي: سنغور وحركة الزنوجة LA NÉGRITUDE، صحيفة سودانيس أونلاين، العدد 34.
33. محمد عبد الغني السعودي: قضايا إفريقيا، عالم المعرفة، الكويت، أكتوبر 1980.
34. نك سبيت: أصول فكرة الزنوجة، تر: صالح الزورق، مجلة ألف، 2009/12/14.
- المعاجم والقواميس:**
1. عبد الغني أبو العزم: معجم الغني الإلكتروني.
  2. معجم المعاني: لكل اسم معنى، معجم إلكتروني، ALMAANY.COM.

المواقع الإلكترونية:

1. براون وليم والزر: الرجل الأسود، تاريخه عبقرته وإنجازاته، نص إلكتروني، [http//do . csouth.umc.edu/neh/brownww/menu.hpml](http://do.csouth.umc.edu/neh/brownww/menu.hpml).
2. منتديات ستار تايمز: السينما الافريقية الأمريكية، ت.ن: 2007/07/07،  
14:14.

# ملحق

## سير الشعراء ونصوص الدراسة:

1. سيرة الشاعر: "محمد مفتاح الفيتوري".
2. نصوص الدراسة.
3. سيرة الشاعر: "ليوبولد سیدار سنغور".
4. نصوص الدراسة.
5. سيرة الشاعر: "لانغستون هيوز".
6. نصوص الدراسة.

## 1. سيرة الشاعر "محمد مفتاح الفيتوري":

ولد "الفيتوري" في منطقة صحراوية عند حدود "التشاد" من قرب غرب السودان إسمها "الجبينة"<sup>1</sup>، كان ميلاده في سنة 1929، من أب ليبي الأصل وأم مصرية، دخل "الفيتوري" المدرسة في وقت متأخر من سنّه الطبيعي، وانتقل من المدارس الأزهرية إلى المدارس العصرية، وهو مشرف على الثلاثين من عمره.

والده كان شيخ السجادة العروسية الشاذلية الأسمرية<sup>2</sup>، ومنه رسخت في نفس الشاعر بذور صوفية، والتي أثمرت في كثير من قصائده.

نشأ في الاسكندرية بمصر، وهناك حفظ القرآن الكريم، ثم عمل محرراً في الصحف المصرية والسودانية.

ترك "الفيتوري" الجامعة قبل أن ينهي الدراسة فيها، واتجه نحو العمل الصحفي هارياً من رتابة الدروس، وقوانين وقيود الجامعة، وأمن له عمله في الصحافة لقمة العيش وهو ما كان يبحث عنه.

مارس "الفيتوري" أثناء إقامته في القاهرة العمل الصحفي، وكتب الكثير من الدراسات الأدبية والسياسية والمقابلات في صحيفة الجمهورية، وبعد انتقاله إلى السودان عام 1958، ترأس تحرير أكثر من مجلة وجريدة أبرزها: "الإذاعة والتلفزيون" السودانية، وفي لبنان عمل محرراً أدبياً في مجلة "الأسبوع الأدبي"، ومحرراً في جريدة "بيروت"<sup>3</sup>.

لكنّه أبعد من بيروت لأسباب قيل أنها سياسية، واختار السفر إلى ليبيا ثم إلى دمشق، عاش "الفيتوري" غريباً عن أرضه التي ولد فيها، لكنّ آلام الغربة لم تثبط من عزيمته، بل زادت إصراراً وتحدياً، فوقف في وجه الحياة زاهداً من كلّ شيء.

<sup>1</sup> منيف موسى: الفيتوري شاعر الحس والوطنية والحب، دار الفكر اللبناني، 1985، ط1، ص51.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص52.

<sup>3</sup> سعيد محمديّة، محمد الفيتوري، صفحات من سيرة مجهولة، دار العودة، بيروت، 2008، ط1، ص30.

عندما اشتدت وطأة الحرب العالمية الثانية عام 1944، انتقلت أسرة "الفيتوري" إلى ريف مصر، وهناك اتحدَّ "الفيتوري" بكل مظاهرها، وعاش جمالياتها، وراقب الفلاحين وهم يعملون ويكدحون، واستطاع أن ينظّم في القرية شعرا جميلا يحلم من خلاله بالثورة على الاقطاع.

يكره "الفيتوري" الماضي الذي يذكره بالذلل والقيود، وهو يهرب من عصر العبودية إلى عصر الحرية، الذي ما فتىء فيه يحلم به. فعاش حاملا على عاتقه وفي قلبه القضية الفلسطينية، وعاش آلامها وشارك الناس مشاعرهم، فهو فلسطيني الهوى سوداني الهوية.<sup>1</sup>

حصل "الفيتوري" على جائزة الوسام الفاتح عام 1988، وجائزة الوسام الذهبي للعلوم والفنون والآداب في السودان، أهم دواوينه: "أذكريني يا إفريقيا"، "سقوط دبشليم"، عاشق من إفريقيا"، "معزوفة لدويش متجول البطل"، "الثورة المشنقة"، "سولارا"، "شرق الشمس"، غرب القمر"، "دنيا أقوال شاهد إثبات"، ثورة عمر المختار"، "بتسمي حتى تمر الخيل"، "لا يملكها من يملكها"، "عريانا يرقص في الشمس".<sup>2</sup>

ترجمت العديد من قصائد "الفيتوري" إلى عدّة لغات أجنبية منها: الانجليزية، الفرنسية، الاسبانية، الألمانية.

وبعدُ "الفيتوري" الشاعر السوداني الذي اشتهر في كلّ العالم العربي، وتميّزت لغته العربية بمتانتها وعمقها وهذا ساعد في أن يكون شعره غنائيا، ولقّب بشاعر إفريقيا والعروبة.

توفي "محمد الفيتوري" في يوم الجمعة 24 أبريل 2015، في المغرب التي كان يعيش فيها مع زوجته المغربية عن عمر ناهز 85 عاما، بعد صراع طويل وممير مع المرض.

<sup>1</sup> شاعر افريقيا السوداني: محمد مفناح الفيتوري، مجلة افريقياتي قارتنا، العدد 4، أبريل 2013، ص2.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص2.

2. نصوص الدراسة :

"أغاني إفريقيا":

يا أخي في الشرق، في كل سكن  
يا أخي في الأرض، في كل وطن  
..أنا أدعوك فهل تعرفني ؟  
يا أخوا، أعرفه.. رغم المحن  
إنني مزقت أكفان الدجى  
إنني هدمت جدران الوهن  
لم أعد مقبرة تحكي البلى  
لم أعد ساقية تبكي الدمن  
\* \* \*  
جبهة العبد.. ونعل السيد  
وأنين الأسود المضطهد..  
تلك مأساة قرون غبرت  
لم أعد أقبلها.. لم أعد!  
كيف يستعبد أرضي أبيض  
كيف يستعبد أمسي وغدي؟  
كيف يخبو عمري في سجنه  
وحدار السجن من صنع يدي  
أنا زنجي!.. افريقيتي  
لي، لا للأجنبي المعتدي  
أنا فلاح ولي أرضي..التي  
شربت تربتها من جسدي  
أنا إنسان..ول حرיתי  
وهي أغلى ثروة من ولدي  
أنا حر مستقل البلد  
وسأبقى مستقل البلد<sup>1</sup>  
\* \* \*

<sup>1</sup> محمد الفيتوري: ديوان أغاني إفريقيا، دار العودة، 1972، ط1، ص33.

"البعث الإفريقي":

إفريقيا... استيقظي  
قد طالما نمتِ ألم تَسْأَمِي؟  
استيقظي من حُلمك الأسودِ  
قد طالما استلقيتِ تحت الدجي  
ألم تملِّي قدم السيِّد؟  
مجددة.. في كوخك المُجهدِ  
مصفرةً الأشواق، معتوهة  
تبني بكفِّها ظلام الغدِ  
جوعانة تمضغ أيامها  
كحارس المقبرة المُقعدِ  
عارية الماضي، بلا عزةٍ  
تُتوج الآتي، ولا سؤدد!

\*

\*

\*

ولينتصب تمثال أحقادنا  
لنتنفض جثة تاريخنا  
المتواري عن عيون ألسنا  
آن لهذا الأسود.. المنزوي  
آن له أن يتحدَّى الورى  
فلتحن الشمس لهاماتنا  
ولتخشع الأرض لأصواتنا  
إنا سنكسوها بأفراحنا  
مما كسوناهنا.. بأحزاننا  
أجل.. فإننا قد أتى دورنا<sup>1</sup>  
إفريقيا.. إنا أتى دورنا<sup>1</sup>

\*

\*

\*

"أنا زنجي":

قلها لا تجبن.. لا تجبن  
أنا زنجي وأبي زنجي  
قلها في وجه البشرية  
الجد.. وأمي زنجية  
أنا أسود.. أسود لكني  
حرٌّ... أملاك الحرية  
أرضي إفريقية.. عاشت  
أرضي إفريقية.. عاشت

\*

\*

\*

<sup>1</sup> محمد الفيثوري: الأعمال الكاملة، دار العودة، 1972، ط1، المجلد الأول، قصيدة البعث الإفريقي، ص 29-30.

أرضي والأبيض دنسها دنسها المحتل العادي  
فامضي شهيدا..وليمضوا مثلي شهداء أولادي  
فوراء الموت..وراء الأرض تدوي صرخة أجدادي  
لستم بيننا إذا لم تذر ريح رماد الجلاذ<sup>1</sup>

\* \* \*

### "إلى وجه أبيض":

ألن وجهي أسود ولئن وجهك أبيض سميتي عبدا  
ووطئت إنسانيتي وحقرت روحانيتي فصنعت لي قيذا  
وشربت كرمي ظالما وأكلت بقلي ناقما وتركت لي الحقدا  
ولبست ما نسجت خيوط مغاز لي وكسوتني التهيد والكدا  
وسكنت جنات الفراديس التي بيدي نحت صخورها الصلدا  
وأنا.. كم استلقيت في كوخ الد جى أتلفح الظلمات والبردا  
كالشاة.. أجتر الكآبة عاقداً حولي دخان تفاهتي عقدا  
حتى إذا انطفأت مصابيح السما وانساب نهر الفجر ممتدا  
أيقظت ماشيتي الهزيلة وانطلقت أقودها لمراحها قودا  
فإذا سمن نعمت أنت بلحمها ونبذت لي الأمعاء والجلدا!<sup>2</sup>

\* \* \*

<sup>1</sup> المصدر السابق، قصيدة أنا زنجي، ص44.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، قصيدة إلى وجه أبيض، ص52.

"معزوفة لدويش متجول":

في حضرة من أهوى      عبث بي الأشواق  
حدقت بلا وجه      رقصت بلا ساق  
وزاحمت برائاتي      وطبولي الآفاق  
عشقي يفني عشقي      وفنائني استغراق  
مملوكك.. ولكني      سلطان العشاق<sup>1</sup>

\* \* \*

"غاية الموت":

نيويورك .. ملء عروقي كآبه  
وعيناى فوق ثراك سحابه  
و لستِ بلادي  
و لا قلبك المتحجر قلبي  
و لا أنت في وهج الشعر دري  
فإفريقيا موطني و الزوج المساكين شعبي...  
نيويورك يا غابة الموت .. ملعونة كيف كنت  
فهذا الذي لطخته يداك ، جبينك أنت.<sup>2</sup>

"ياقوت العرش":

لا تعجب يا ياقوت  
الأعظمُ من قدرِ الإنسان هو الإنسان  
القاضى يغزل شاربه لمغنيه الحانه  
وحكيمُ القرية مشنوقُ  
والقَرْدَةُ تلهو فى السوق..<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المصدر السابق، قصيدة معزوفة لدويش متجول، ص22.

<sup>2</sup> محمد الفيتوري: الأعمال الكاملة، مج1، قصيدة غابة الموت، ص497-498.

<sup>3</sup> محمد الفيتوري: ديوان معزوفة لدويش متجول، مج1، ص507-508.

### 3. سيرة الشاعر "ليوبولد سيدار سنغور":

#### مولده ونشأته:

ولد الشاعر "ليوبولد سيدار سنغور" في 6 أكتوبر 1902م، في أسرة مسحية شديدة الارتباط بالكنيسة الكاثوليكية، وذلك ببلدة "جوال فاجوت" "Joal fajouT"، والتي تُعد أحد أهم معاقل الكنيسة المسيحية الكاثوليكية في السنغال، ثم تربى لدى أسرة والدته في بلدة «جلوز»<sup>1</sup>.

والده "بازيل جوغوي سنغور" "Basil Diogoye Senghor"، كان من أعيان المنطقة بسبب تجارته، وأما والدته "انيلان انجمي باخوم" "Nilane Ndjémé Bakhom"، فهي تتحدر من جذور ملكية، وأصولها من بلاد فوت تور.

ينتمي سنغور إلى قبيلة «سرير» الصغيرة من ناحية الحجم لكن العريقة من حيث الجذور التاريخية، والتي من الثابت تاريخياً أنها جاءت من بلاد "فوت تور" التي وتضم اليوم جزء من السنغال وموريتانيا.

بدأ "سنغور" رحلته التعليمية في المدارس الدينية التي كانت تديرها بعثة كاثوليكية، حيث تعلّم اللاهوت قبل أن ينتقل إلى إعدادية «انغازوبيل» على أيدي الآباء "الأسبرتين"، حيث حصل على الشهادة الابتدائية، ثم انتقل إلى "دكار" والتحق بالمدرسة المسيحية المتوسطة لتكوين القساوسة تحت قيادة الأب "ليبرمان" "François Libermann" الذي تأثر به سنغور طول حياته.<sup>2</sup>

وبعد نجاحه في امتحان الشهادة الثانوية في مدرسة "فان فون" الثانوية الحكومية بمدينة "دكار"، حصل "سنغور" على نصف منحة دراسية ليسافر إلى فرنسا في شهر أكتوبر سنة

<sup>1</sup> محمد سعيد باه: ليوبولد سنغور.. صراع السياسة، الفكر والدين وراء قناع الشاعر، مجلة قراءات إفريقية، 2016، ص3.

<sup>2</sup> محمد سليمان محمد الفكي: سنغور وحركة الزنوجة، LA NÉGRITUDE، صحيفة سودانيس أونلاين، العدد04.

1928م، بعد أن تجاوز العقد الثاني قليلاً، وهناك انتقل إلى مدرسة "لويس لو غران" الثانوية بعد أن ترك "السربون" مستاءً، ثم حصل في سنة 1932م على شهادة في الدراسات العليا، وليتخرج بعد ذلك حاملاً شهادة "جائزة التدريس" "Agrégation" في النحو وذلك سنة 1938م، وكان بذلك أول إفريقي يحصل على هذه الشهادة.<sup>1</sup>

وبعد أن تقلد عدة مناصب تعليمية وسياسية استعمارية، بما في ذلك احتلال مقعد نائب في البرلمان الفرنسي عن دائرة السنغال وموريتانيا، ومنصب وزير دولة في حكومة "إدغار فور"، عاد إلى السنغال بدعوة من الرئيس والمحامي الكبير "لمين غي"، والذي أصبح منافسه السياسي فيما بعد حتى استطاع التغلب عليه بدعم من القيادة الدينية التقليدية، وذلك على الرغم من كون الثاني مسلماً متديناً، وفي نهاية المطاف انتُخب رئيساً لجمهورية السنغال لأول مرة في 9 أكتوبر 1960م.

بقي في هذا المنصب حتى استقالته يوم 30 ديسمبر 1980م.

انتمى إلى التيار الشيوعي، ثم بقي منتزماً إلى هذه المدرسة لمدة طويلة من الزمن حتى في الفترة التي أعقبت تسريحه من الجيش الفرنسي غداة الحرب العالمية الثانية، والتي وقع في أثناءها أسيراً في أيدي الألمانين.<sup>2</sup>

توّج سنغور حياته الفكرية في نهاية المطاف بما كان يحلم به طيلة مسيرته العلمية، وذلك عندما انتُخب ليصبح عضواً مدى الحياة في الأكاديمية الفرنسية التي دخلها يوم 29 مارس 1984م، وانضم إلى عضوية لجنة القاموس الفرنسي.

كوّن صدقات عديدة في باريس، ولعلّ أبرزها مع "جورج بومبيدو"، الذي أصبح رئيس فرنسا لاحقاً، والشاعر الكبير "ايميه سيزار"، الذي كان له الدور الأبرز في تشكيل شخصية

<sup>1</sup> ادريس البخاري: ألوان الأدب الأسود، جمعية البيت للثقافة والفنون، 2009.

<sup>2</sup> سليمان الأفسس الشراري: ليوبولد سیدار سنغور، رائد الشعر السنغالي الحديث، صحيفة إخبارية طبرجل الرئيسية،

"سنغور"، حيث تعلم على يده ضرورة التحرر من القهر والعبودية والظلم التاريخي، وأسس مجلة ثورية احتجاجية باسم "الطالب الأسود"، وراح يبيلور مصطلح الزنوجة على صفحاتها لأول مرة.

### دواوينه:

لم يتوقف "سنغور" عن الكتابة في الشعر، فالدواوين الثمانية التي نشرها انقسمت بين أربعة قبل توليه الرئاسة في السنغال، وأربعة بعدها، وهي: "أغاني الظل" 1945، "القرابين السود" 1948، "أغنيات إلى نابيت" 1949، "حبشيات" 1956، "مرثيات الرياح الخفيفة" 1969، "رسالة من فصل شتوي" 1973، "مرثيات جليلة" 1979.<sup>1</sup>

### الجوائز والأوسمة:

حصد "سنغور" طوال مسيرته العلمية والأدبية العديد من الجوائز الدولية من أهمها: الجائزة الذهبية في الأدب الفرنسي، الجائزة الدولية الكبرى للشعر بفرنسا، والجائزة الكبرى في الأدب الفرنسي. واحتفاءً به أسست جائزة تحمل اسم: "ابن خلدون/ ليوبولد سيدار سنغور للترجمة في العلوم الانسانية".<sup>2</sup>

### وفاته:

أمضى "سنغور" سنواته الأخيرة في "نورماندي" شمال فرنسا، وهناك وافته المنية في 20 ديسمبر 200، فنقل إلى بلده في "دكار"، بحضور مسؤوليين فرنسيين كبار، بالإضافة إلى شخصيات من عالم الفكر والأدب والفن.

ترك الرجل بصمته الخالدة على جميع الأصعدة، وأثر رحيله في القريب والبعيد عنه، أين صرح الرئيس المالي "ألفا عمر كوناري": "إن سنغور هو حق من السنغال، لكنه من

<sup>1</sup> أحمد بابانا العلوي: ليوبولد سيدار سنغور، مقاربة حول السياسة والشعر والاسلام، الشبكة العربية العالمية، العدد 140، 29 يونيو 2011.

<sup>2</sup> الأديب السنغالي: ليوبولد سيدار سنغور، موسوعة الجزيرة، 14 مايو 2015، ت ز: 05/أفريل 2018.

إفريقيا، وهو مواطن عالمي"، والرئيس "جال شيراك" الفرنسي، تأثر كثيرا لوفاته فقال عنه: "كان واحدا من أكبر الشخصيات المعاصرة للإنسانية، وأحب كبار صانعي تاريخ إفريقيا".<sup>1</sup>

#### 4. نصوص الدراسة:

##### "أخي الأبيض العزيز"

عندما وُلدتُ، كنت أسود،

عندما كبرت، كنت أسود

عندما أكون تحت الشمس، أكون أسود

عندما أمرض، أكون أسود

عندما سأموت، سأكون أسود

\* \* \*

لكنك أنت أيها الإنسان الأبيض

عندما وُلدتَ، كنت وردي

عندما كبرت، كنت أبيض

عندما تذهب إلى الشمس تكون أحمر

عندما تتعرض للبرد، تكون أزرق

عندما ينتابك الخوف، تكون أخضر

عندما تمرض، تكون أصفر

عندما ستموت، ستكون رماديا

فأينما، إذن، هو الإنسان الملون؟<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق.

<sup>2</sup> شريل داغر: ترجمة أشعار سنغور، سلسلة إبداعات عالمية، الكويت، 2002، ص212.

## "توكو-والي"

كانت الحقول مليئة بديدان لامعة  
والنجوم تحط على العشب  
على الشجر  
والصمت يحيط به  
وحدها عطور الأدغال كانت تطن  
وخلايا النحل التي يعلو دبيبها على تموجات صرار الليل الخفيفة  
وطام - طام مقنع وتتفس بعيد في الليل  
أنت يا توكو والي تسمع ما لا يُسمع  
وتشرح لي العلامات التي يملئها الأجداد في الهدوء البحري  
على مجموعات النجوم. الثور، العقرب،  
الفهد، الفيل، الأسماك الأليفة ...  
ليلة من إفريقيا .  
ليلتي السوداء  
سرية وواضحة.<sup>1</sup>

## "أيتها المرأة"

أيتها المرأة أشعلي أشعلي أمام الأجداد مصباحك  
الذي يعمل بالزبد  
فالأطفال في الفراش  
تصغ إلى أصوات أسلافنا

<sup>1</sup> حمزة الملك طمبل: مكتبة عربي، العدد 154.

إنهم منفيون مثلنا، لم يرتبوا في الموت

ضائعون في رمال غريبة

وفي الكوخ المدخن تغمم الأرواح التي تتمنى لنا الخير

إني أصغي ورأسي على صدرك الدافئ المريح

دعيني أتنفس عطر موتانا، دعيني أسمع أصواتهم الحية

عساي أتعلم العيش قبل أن أغوص كالغواص الحكيم

في أعمال النوم الأبدية.<sup>1</sup>

"إمرأة سوداء"

إمرأة سوداء، إمرأة عارية

لونك هو الحياة، وشكلك هو الجمال

نشأت في ظلك وكانت عذوبة يديك

تغمر عيني

وها أنا دا في قلب الصيف والظهيرة

أكتشف أرضاً موعودة

وكنسر خاطف يصعقني جمالك

أيتها الثمرة الناضجة بجسد راسخ

أنت النشوة القائمة من خمرة سوداء

أنت الفم الذي يحول شفتي إلى أغنية

<sup>1</sup> شريل داغر: ترجمة أشعار سنغور، ص116.

والسهول النقية الآفاق التي تداعبها

رياح الشرق

أنت النشيد الملحون

وصوتك إيقاع الحب

إمرأة عارية، امرأة غامصة أنت

زيت لا يضطرب، زيت هادىء

في حاضرة البطل، في خواطر الأمراء

أنت غزالة شاردة في مزارع سماوية

والحلي نجوم في ليل جسدك

أغنيّ جمالك الذي يتحوّل إلى شكل ثابت

في الأبد

قبل أن ينثر القدر رمادا

يغذي جذور الأرض.<sup>1</sup>

## 5. سيرة الشاعر "لانغستون هيوز":

كاتب وصحفي ومسرحي وروائي وشاعر وناشط إجتماعي أمريكي، ينحدر من أعراق مختلفة، فهو من أصول إفريقية وأسكتلاندية وأوروبية ويهودية، وكذلك جذور من الهنود الأمريكيان.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> شربل داغر: ترجمة أشعار سنغور، ص212.

<sup>2</sup> أحمد مرسي: قراءت في الشعر الأمريكي المعاصر، سلسلة الشعر، المركز القومي للترجمة، العدد 1440، 2010، ط1، ص186.

ولد "هيوز" في أول فبراير 1902، في "جوبلين" بولاية "ميسوري"، ولكنه نُقل وهو لا يزال رضيعاً إلى لورانس، وعاش هناك حتى 1915، عاش وضعاً اجتماعياً صعباً وذلك لأنه لم يكن أسود بالكامل وإنما كان بين أجداده بيض وهنود إلى جانب الأفارقة، الأمر الذي انعكس على لونه الذي كان بين البياض والسواد، وهي مشكلة عانى منها عدد من الأفرو أمريكيين كان من بينهم كتاب حولوا تلك المشكلة إلى أعمال روائية وشعرية مهمة. فالسؤال الذي يثار بشأن هذه الفئة هو إلى أين تنتمي اجتماعياً وثقافياً فهم ليسوا سوداً خالصاً ولا بيضاً خالصاً، غير أن ذلك الوضع المتأرجح ظلّ دائماً ينحسم في النهاية في صالح اللون الأسود.<sup>1</sup>

بدأ حياته الأدبية بنشره لقيده الأولى "زنجي يتحدث عن الأنهار"، ولم يكن حينئذ قد التحق بالجامعي بعد، تأثر بالشاعرين "ويتمان" و"كارل ساند برغ"، وكذلك بشعراء سود مثل "بول لورنس دنبار" و"كلود مكاي"، كما تأثر كثيراً بموسيقى الجاز و-أغاني الزنوج الحزينة- البلوز.<sup>2</sup>

سافر إلى باريس ومدريد وقضى عاماً في الاتحاد السوفيتي السابق، كتب خلاله أكثر أشعاره راديكالية في توجهاتها اليسارية الثورية، أدت فيما بعد إلى حصول أزمة في الخمسينات، إلا أنه أنكر انتماءه للييسار الثوري ولكنه اعترف بأن بعض أشعاره الثورية كانت طائشة وتفقر إلى الحكمة. نشر عام 1942 مجموعته "شكسبير في هارلم" هاجم فيها التمييز العنصري، ثم نشر خلال الحرب "مجالات العجب" 1947، و"بطاقة سفر ذهاباً" 1949، وبعد الحرب مجموعة أخرى شكلت انعطافة مهمة في مسيرته الشعرية وهي "مونتاغ حلم مؤجل" 1951. ظهرت له عام 1962 قصيدة طويلة طموحة بعنوان "اسأل ماما"، تزخر بالإشارات والإحالات إلى ثقافة السود وعالمهم وموسيقاهم.

<sup>1</sup> وجه أمريكا الأسود .. وجه أمريكا الجميل، مختارات من الشعر الأفروأمريكي، تر: أحمد الشافعي، مر "جمال الجزيري، إيش: جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2005، ص98.

<sup>2</sup> سعد البازعي: لغات الشعر، قصائد وقراءات، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2011، ط1، ص190

لعب "هيوز" شعرا ونثرا الدور التأسيسي، حيث أنه قدّم البعدين الروحي والحضاري للسود، من خلال أشكال تعبيرية وإيقاعات موسيقية الضاربة عميقا في التاريخ.<sup>1</sup>

كتب "هيوز" سيرته الذاتية، ثم بعد ذلك كتب رواية "ليس بلا ضحك"، وعددا من القصص القصيرة، ومجموعة شعرية ثانية، وبدأ يحقق شهرة أدبية واسعة لا سيما في أواسط السود.

وفي 1926، نشر "هيوز" مقاله الشهير "الفنان الأسود وجبل العرقية"، في صحيفة "الأمّة"، كما كتب كتابات ثورية أهمها: "صباح الخير أيتها الثورة"، وداعا أسها المسيح".<sup>2</sup>

### أهم أعماله:

"قصائد البلوز الغربية" 1962، "ثياب جيّدة لليهود" 1927، "أيتها الموت العزيز" 1931، "حافظ الأحلام" 1932، "شكسبير في هارلم" 1942، "بطاقة سفر بلا عودة" 1949، "إسأل أمك" 1961، "القصائد الكاملة للانغستون هيوز" 1994.

وفي النثر: "البحر الكبير" 1940، "أتساءل فيما أتجول" 1956. وفي المسرح: "مولاتو" 1935، "ألا تريد أن تكون حرا" 1938، إضافة إلى عدد كبير من الكتب التي جمعت رسائله ومحاضراته، وثلاث أنطولوجيات شعرية حررها أو ساهم في تحريرها.<sup>3</sup>

### وفاته:

في 22 أيار عام 1967، توفي "هيوز" في مدينة نيويورك على اثر تعقيدات حصلت بعد عملية جراحية بسبب سرطان البروستات، وأصبح بمثابة الأسطورة التي تتجاوز الكتابة والشعر إلى مستوى الرمز، حتى أطلق عليه البعض لقب "شاعر الشعب الأمريكي".

<sup>1</sup> أحمد مرسي: قراءات في الشعر الأمريكي المعاصر، ص188.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص189.

<sup>3</sup> وجه أمريكا الأسود.. وجه أمريكا الجميل، مختارات من الشعر الأفروأمريكي، ص89.

6. نصوص الدراسة:

"هارلم":

ما الذي يحدث للحلم المؤجل؟

هل يجف؟

مثلما الزبيب في الشمس؟

أم يفسد مثلما القرع؟

أم أنه ينفجر؟<sup>1</sup>

"يتحدثّ الزنجي عن الأنهار":

لقد عرفت الأنهار

لقد عرفت الأنهار القديمة قدم العالم والأقدم من تدفق

دماء البشرية بالعروق

البشرية

سبحت في الفرات عندما كانت مطالع النهار شابة،

بنيت كوشي قرب الكونغو فهددني لأنام

نظرت إلى النيل وأقمت الأهرامات

سمعت المسيسيبي، حين ذهب أبراهام لنكولن

إلى نيوأورليانز، ورأيت صدره الطيني يتحول ذهبيا عند الغروب

لقد عرفت الأنهار

الأنهار القديمة المعتمدة،

إن روعي الآن بعمق الأنهار.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> بيتر هاي: موجز تاريخ الأدب الأمريكي، تر هيثم علي حجازي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص271.

<sup>2</sup> سعد البازعي: لغات الشعر، قصائد وقراءات، ص191.

## "موضوع للانجليزي ب":

قال المعلم:

اذهبوا إلى بيوتكم واكتبوا

الليلة صفحة

دعوا تلك الصفحة تتبع من داخلكم

عندئذٍ، ستكون الصفحة صادقة

أتساءل عما إذا كان الأمر بهذه البساطة؟

أنا في الثانية والعشرين، ملون، ومولود في ونستون - سالم

تعلمت هناك، ثم في دَرَم، وبعد ذلك جئت هنا

إلى هذه الكلية على التلة فوق هارلم

أنا الطالب الملون الوحيد في الصف

خطواتي من التلة تنحدر بي إلى هارلم،

عبر حديقة، بعدها أعبر سانت نيكولاس،

ثم الشارع الثامن، فالسابع، وأصل إلى ال Y ،

تفرع ال Y في هارلم، حيث أستقل المصعد

نحو غرفتي، ثم أجلس لأكتب هذه الصفحة

لا بأس، إنني أحب أن أكل وأنام وأشرب وأعشق.

أحب أن أعمل وأقرأ وأتعلم وأفهم الحياة.

أحب أن يهدى إلي غليون في عيد الميلاد،

أو أسطوانات - بيبي وبوب أو باخ

أظن أن كوني ملوّنًا لا يعني أنني لا أحب الأشياء

التي يحبها الآخرون من الأعراق الأخرى

حين تكون، أنا فلا تكون بيضاء

لكنها ستكون جزء منك ، يا معلم

أنت أبيض

لكّك جزء مني مثلما أنا جزء منك

تلك هي الطريقة الأمريكية

أحيانًا قد لا تودّ أن تكون جزء مني

ولا أودّ في الغالب أن أكون جزء منك

لكننا كذلك وهي حقيقة!

مثلما أتعلم منك

أظنك تتعلم مني

مع أنك أكبر وأبيض

وأحيانًا أكثر حرية

تلك هي صفحتي للانجليزي ب.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 193.

"النجوم":

هناك حيث مجموعة من النجوم  
المضيئة فوق شوارع "هارلم"  
وحيث نسمة النسيان التي تشكل الليل  
ستتهض المدينة كلها  
لدى سماعها أغنية الأم لطفلها حتى ينام  
مُدَّ يديك أيها الطفل الزنجي وخذ نجمة  
من أعماق نسمة النسيان التي تشكل الليل  
لا تأخذ سوى نجمة واحدة  
وأنا أمجد أمريكا بنشيدي.<sup>1</sup>

"أنا أيضا":

أنا أيضا  
أنا أيضا أغني لأميركا  
أنا الأخ الوجيه  
الذي يرسلونه إلى المطبخ ليتناول الطعام  
حينما يأتي الضيوف  
لكنني أضحك حينذاك  
لأنني أتناول ما يكفيني من الطعام  
لأستعيد قواي

<sup>1</sup> خليل شطا: أضواء على الأدب الإفريقي المعاصر، نفاحات انسانية سامية، وتعلق بالجزور الافريقية، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 38-39 يناير 1984، ص4.

ولكن غدا

سأبقي جالسا إلى مائدة الطعام

حينما يأتي المدعوون

فلا يجرؤ أحد أن يقول لي:

" اذهب إلى المطبخ لتتناول الطعام "

ومن ثم سيبصرون كم أنا جميل

فيشعرون بالخجل

ذلك لأنني أنا أيضا أمثل أميركا.<sup>1</sup>

**"حكايات العمّة سوزان":**

رأس العمّة سوزان مليء بالحكايات

وقلب العمّة سوزان يفيض بالحكايات

في ليالي الصيف وعلى شرفة بينها

تضم العمّة سوزان بين ذراعيها طفلا زنجيا

تحيطه بالعطف والحنان وتروي له حكايات

العبيد الزوج

الذين يسرون في الليالي الحالكة

العبيد الزوج

الذين ينشدون آلامهم وأحزانهم

حكايات العمّة سوزان تحكي مأساة الزوج

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 90.

فيصغي إليها الطفل والحسرة تفيض في قلبه

فهو يعلم تماما أن حكايات العمه سوزان صورة صادقة للواقع.<sup>1</sup>

"حسرة أمريكية":

أنا الحسرة الأمريكية

الصخرة التي انكسر عليها

أصبع قدم الحرية

أنا الخطيئة الكبرى

التي اقترفت منذ بعيد،

من مدينة جيمستون.<sup>2</sup>

"العدالة":

ندرك نحن السود

أن العدالة إلهة عمياء

عصابتها تخفي دملين متقيحتين

لعلهما كانا ذات يوم مقلتين.<sup>3</sup>

"كلمات مثل الحرية":

ثمة كلمات من الحرية

حلو وعذب نطقها

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 88.

<sup>2</sup> وجه أمريكا الأسود.. وجه أمريكا الجميل، مختارات من الشعر الأفروأمريكي، ص 105.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 104.

حلو على أوتار قلبي كل يوم

تغني الحرية كل يوم

ثمة كلمات كالحرية

تجعلني أوشك أن أنتخب

ولو عرفتم الذي عرفته،

لعرفتم السبب.<sup>1</sup>

**"تحذير":**

الزواج، ودودون مطيعون

وديمون متواضعون لطفاء

احذروا اليوم

الذي يعدلون فيه عن رأيهم

الرياح في حقول القطن

نسيم رقيق

احذروا الساعة

التي تجتث فيها الشجر.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص101.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص106.

# فهرس الموضوعات

## مدخل:

## الزوجة تاريخ لون وأقصاء

- 9 1. الآراء الفلسفية: "هيغل": الزوج عبيد الطبيعة
- 11 2. الزوج والشرط الاجتماعي
- 12 2.1 الرق نشأته وتطوره
- 13 2.2 الرق في الاسلام
- 14 3. ثورة الزوج في العصر العباسي
- 15 4. صورة الزوجي في ألف ليلة وليلة
- 16 5. صورة الزوجي في كتابات الجاحظ
- 18 6. القمع العرقي في الجاهلية: عنتر بن شداد وستر السواد

## الفصل الأول:

## الزوجة حركة ثقافية وأدبية

- 22 1. مفهوم الزوجة
- 22 1.1 اللغة
- 23 1.2 اصطلاحا
- 25 2. بواذر ظهور حركة الزوجة
- 26 2.1 حركة الزوجة في أمريكا
- 29 (1) بداية النضال على الصعيد الأدبي
- 30 (2) نهضة هارلم
- 30 (3) الشعر والرواية والمسرح في نهضة هارلم
- 33 (4) صورة الزوجي في الأعمال السينمائية
- 34 2.2 امتداد حركة الزوجة في باريس
- 38 الزوجة من الفن الشعري والروائي إلى المسرحي
- 40 3. واقع حركة الزوجة ووسائل التعبير عنها
- 43 4. صدى حركة الزوجة
- 48 5. قضايا وأسئلة أدب الزوجة

49	(1) العنصرية والتفاوت العرقي والثقافي
51	(2) العودة إلى الأصول (التراث والفلكلور الزنجي)
53	(3) المطالبة بالحرية والمساواة
56	(4) العرقية
57	(5) العبودية والرق
60	(6) الهوية

## الفصل الثاني:

### الزوجة: الثقافة، اللون، والخطاب الشعري

67	1. الإنتماء العرقي والإثني والخطاب الشعري..... 67
67	1.1 خطاب الزوجة عند الفيتوري..... 67
75	1.2 سنغور: الزوجة وفعل التأسيس الخطاب الزنجي.. 75
80	1.3 هيزوز: توسيع أفق الزوجة
84	2. العناصر الموضوعاتية للثالوث الإفريقي
84	2.1 العناصر الموضوعاتية عند الفيتوري
91	2.2 العناصر الموضوعاتية عند سنغور
97	2.3 العناصر الموضوعاتية عند هيزوز
101	3. العناصر الأسلوبية والخطابية للثالوث الإفريقي
109	خاتمة
114	قائمة المصادر والمراجع
	ملحق

## ملخص البحث:

حمل مهمة التعريف بهذا الأدب، الذي هو قصة شعب عانى ويلات العبودية والحرمان والفقر والعنصرية، والذي برزت من بين أضلعه أمة شاعرة وناقدة لتعيد له بريق الأمل وترفع صوته عالياً من أجل استرجاع إنسانيته.

ارتبطت "الزوجة" بما بعد الكولونيالية، فهدفت إلى تصحيح النظرة الاستعمارية الغربية اتجاه الشعوب، ومن بينهم الزنوج، كما سعت إلى ضرب مركزية الأبيض المهيمن، ودحض فكرة الأسود التابع والمهمش، فوقفت في وجه الاستعمار كردة فعل فكرية، اعتمد في ردها الكتابة وفونتها.

عكست "الزوجة" وعي الكاتب الزنجي، تجسّد ذلك في الدفاع عن التراث والحضارة والتاريخ الزنجي وأهميته، بصقل نصوص جمالية نابغة من قدرتهم في رسم المشاهد بطريقة جديدة وتشكيلية، فكانت بذلك تيار شامل ومؤثر في كل الآداب والفنون، لاسيما الشعر باعتباره من وسائل الخطاب التعبيري.

### Résumé de la recherche:

La présente recherche vise la définition de la littérature nègre, qui est l'histoire d'un peuple qui subit les ravages de l'esclavage, de la privation, de la pauvreté et le racisme, ce peuple qui donnait naissance à une nation de poésie et de la critique, pour lui restaurer l'éclat de l'espoir et d'élever sa voix haute afin de récupérer son humanité.

Le nègre était associé au colonialisme et visait à corriger l'ascétisme occidental envers les peuples, y compris les Nègre. Il a également chercher à frapper la centralité du blanc dominant et à réfuter l'idée d'un noir subordonné et marginalisé. Se dressait face au colonialisme comme réaction intellectuelle, adoptée dans sa réponse l'écriture et ses arts.

Être nègre réfléchit la conscience de l'écrivain nègre, qui se reflète dans la défense du patrimoine, de la civilisation et l'histoire des nègre et son importance, par le raffinement des textes d'esthétique découlés de leur capacité à tracer des scènes par une nouvelle méthode et art plastique, ce fut une tendance globale et influente dans tous les littératures et les arts, en particulier, la poésie, en tant que moyen de discours expressionniste.